الفصل الرابع

النتاج العلمى والأدبى فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى

أولا العلوم النقلية:

١ - العلوم لدينية "الشريعة".

٢ - العلوم الأدبية واللغوية:

ثانيا العلوم العقلية

١ - علم الطب ٢ - علم الكيمياء

٣ - علم الصيدلة ٤ - علم الرياضيات

٥ - علم الفلك والتنجيم ٦ - الفلسفة وعلم الكلام.

٧ - علم التاريخ ٨ - علم الجغرافيا

تطور النتاج العلمى والأدبى فى إقليم خراسان خلال العصور السابقة، حتى بلغ درجة عظيمة من الازدهار والتطور فى العصر السلجوقى، بفضل اهتمام السلاطين والوزراء بالعلم والعلماء، حيث زخر بلاطهم، وبلاط خلفاء بنى العباس فى عهدهم، بالعلماء، والأدباء، والشعراء، الذين أثروا المكتبات الإسلامية بكثير من مؤلفاتهم العلمية، مما ساعد على ازدهار الثقافة الإسلامية.

ولقد قسم المسلمين العلوم إلى قسمين: علوم نقلية، وعلوم عقلية، والعلوم النقلية هى التى تتصل بالقرآن الكريم، وتشمل علم القراءات، وعلم التفسير، وعلم الحديث، والفقه وأصوله، والتصوف، والتوحيد، واللغة، والنحو، والمعانى والبيان، والأدب، أما العلوم العقلية فتشمل، علم الطب، الكيمياء، الصيدلة، الهندسة، علم الفلك والتنجيم، الفلسفة وعلم الكلام، التاريخ، الجغرافيا[1].

ولقد برز الكثير من العلماء فى العلوم النقلية (الشرعية) والعقلية، فنجد فى العلوم النقلية علماء ألموا بأكثر من فرع منها، فنجد العالم قد ألم بالدراسات القرآنية عموما، مما يجعلنا نشير أحيانا إلى هذا العالم فى أكثر من موقع فى البحث، فنذكره مثلا فى مجال علم القرآن، ثم نشير إليه عند حديثنا عن الفقه أو التفسير مثلا على اعتبار أن ذلك العالم مقرئ وفقيه، أو مقرئ، ومفسر، أو محدث وفقيه أو مفسر ومحدث وفقيه، وغير ذلك.

* * * * * *

(١) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، جـ٣، ص٢٣٩، مواهب عبد الفتاح: الحياة السياسية، ص١٣٧

أولا العلوم النقلية:

وتنقسم إلى العلوم الشرعية (الدينية) والعلوم الأدبية

١ - العلوم الدينية (الشرعية)

أ - علوم القرآن "القراءات":

القرآن الكريم هو أصل الشريعة[١]، وهو معجزة الإسلام الخالدة، أنزله الله على رسولنا محمد ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور[٢].

وعلوم القرآن هى أول العلوم التى أهتم بها المسلمون عبر العصور الإسلامية لذلك حرص المسلمون على تعلمه وتعليمه لأبنائهم، بالمداومة على قراءته وتجويده، وتلاوته، وحفظه مستعينين فى ذلك قول رسول الله ﷺ "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[٣].

ويعتبر هذا الحديث دافعا قويا عند أهل السنة والجماعة فى تعلم القرآن[٤] كما يوضح هذا الحديث أن كتاب الله هو المنقذ من الفتن، الهادى إلى صراط المستقيم المنجى لصاحبه من عذاب القبر وسوء الحساب[٥].

---

(١) الماوردى: أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى، ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، أدب الدنيا والدين، حققه وعلق عليه د/ مصطفى السقا، ط٥، مصطفى البابى الحلبى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٩٥

(٢) مناع القطان: مباحث فى علوم القرآن، ط١٠ نشر، مطبعة وهبة، مطبعة المدنى، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص٣.

(٣) الزبيدى: أبى العباس أحمد ت ٨٩٣هـ/١٤٨٧م، التجريد الصحيح لأحداث الجامع الصحيح، مختصر "صحيح البخارى" تحقيق د/ عماد عامر، جزءان، ط٣، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، حديث رقم ١٨١٧، ص٥٢٨.

(٤) رشاد معتوق: الحياة العلمية فى العراق، ص٢٨٣، الزهرانى: الحياة العلمية فى صقلية الإسلامية، ص٢٥٤.

(٥) ثناء على مخيمر الشيخ: مباحث فى علوم القرآن، ط١، الزقازيق، ١٤١٩، ١٩٨٨م، ص ١٧٤

والعلوم المتعلقة بالقرآن كثيرة، أدمجها السيوطى[١]: فى ثمانون نوعا، ولقد عرف ابن خلدون[٢] علم القرآن بقوله "القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه المكتوب بين دفتى المصحف، وهو متواتر بين الأمة، إلا أن الصحابة رووه عن الرسول ﷺ على طرق مختلفة وكيفيات الحروف فى أدائها".

وأول علوم القرآن التى اهتم بها المسلمون، علم القراءات الذى يعنى بمذاهب الأئمة فى قراءة القرآن الكريم، وهذه المذاهب باقية أجماعا يقرأ بها الناس ومنشئوها اختلاف فى اللهجات، وكيفية النطق، وطرق الأداء من تضخيم، وترقيق، وإماله، وإدغام، وظهور، وإشباع، ومد وقصر، وتشديد وتخفيف[٣].

وكانت جميع القراءات جائزة عند المسلمين فى الأقاليم الإسلامية[٤]، وعند الأئمة، الجميع على صواب[٥]، وكان المسلمون يرجعون فى إثبات صحة القراءة إلى الإسناد بالتسلسل، كقولهم قرأ فلان على فلان، حتى ينتهى إلى قرأ على بن أبى طالب على النبى ﷺ[٦]، ولقد اهتم سلاطين ووزراء السلاجقة بالقرآن الكريم وعلومه، فقد كان الوزير نظام الملك الطوسى ت ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، قد حفظ القرآن وهو فى الحادية عشر من عمره[٧].

ومن علماء خراسان فى علم القراءات خلال العصر السلجوقى:

المقرئ الواعظ إسماعيل بن أحمد، احد أئمة المسلمين، ت ٤٣٠ هـ / ١٠٣٧ م، وله تصانيف مشهورة فى علوم القرآن والقراءات[٨].

---

(١) جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م، الإتقان فى علوم القرآن، ٤أجزاء، تحقيق، د/ محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، بدون، جـ١، ص١٤ – ١٧، مناع القطان: مباحث فى علوم القرآن، ص٤٩، ٥٠.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، جـ٢، ص٣٨٨.

(٣) السيوطى: الإتقان، جـ١، ص١٣.

(٤) جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، ٣أجزاء راجعه وعلق عليه د/ حسين مؤنس، دار الهلال، القاهرة، بدون، جـ٣، ص٦٨، محمد عبد السلام إبراهيم: المحتويات فى الحضارة الإسلامية، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، بدون، ص١٧٩.

(٥) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٤٦.

(٦) جرجى زيدان: المرجع السابق، ج٣، ص٦٨.

(٧) خواندمير: دستور الوزراء، ص٢٤٥.

(٨) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، جـ٢، ص١٩٣.

ومن أشهر قراء خراسان: شيخ القراء: أبو عبد الله، محمد بن على بن محمد النيسابورى الخبازى، وكان شيخ نبيل، عارف بالقراءات توفى سنة ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م[١]، ومن تتلمذ عليه فى هذا العلم، أبو المعالى الجوينى ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م، كان يبكر كل يوم، إلى المسجد، ويقرأ عليه القرآن[٢].

ومن مقرئ خراسان فى العصر السلجوقى أيضا: أبو سعد بن أبى شمس النيسابورى أحمد بن إبراهيم بن موسى المقرئ المجود، وروى "الغاية فى القراءات" وتوفى سنة ٤٥٤ هـ / ١٠٦٣ م[٣].

ومن كان لهم معرفة تامة بالقرآن وتفسيره، على عبد الله بن أحمد النيسابورى ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٧ م[٤].

ومن صنف فى علوم القرآن، أحمد بن الحسين بن على بن عبد الله الخرقى، الفقيه، الشافعى، وله "جماع أبواب وجوه قراءة القرآن، وتوفى ٤٥٨ هـ / ١٠٦٧ م[٥].

والمقرئ أحمد بن أبى عمر، أبو عبد الله الأندرابى، وكان شيخا زاهدا، عابدا، عالما بالقراءات، له التصانيف الحسنة فى علم القراءات، توفى ٤٧٠ هـ / ١٠٧٩ م[٦].

وممن كان إماما فى علم القراءات، شيخ القراء محمد بن أحمد بن على بن حامد، أبو نصر المروزى، شيخ القراء بخراسان، سافر الكثير فى طلب علم القرآن، حتى صار إماما فى القراءات، وأوحد وقته وصنف فيه التصانيف[٧] ومن

---

(١) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٣٥١.
(٢) السبكى: طبقات الشافعية، جـ٥، ص١٧٠.
(٣) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص٢٩٢.
(٤) ياقوت: معجم الأدباء، جـ٤، ص١٤١، ١٤٠.
(٥) إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، حـ١، ص٦٨.
(٦) ياقوت: معجم الأدباء، جـ١، ص٥٩٣.
(٧) ابن الجوزى: المنتظم، جـ٩، ص٦٠، الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٤٣١، ٤٣٢، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص٣٧٢.

مصنفاته الحسنة كتاب "المعـول" وكتاب "التذكرة لأهل البصرة"[١]. ومن أقواله: أن نصف القرآن فى قولة تعالى "لقد جئت شيئا نكرا"[٢].

النون والكاف فى النصف الأول، والراء والألف من النصف الثانى[٣]، وفى ذلك يقول السـيوطى[٤]: قال بعض القـراء: القرآن العظيم له أنصاف اعتـبارات، فنصفـه بالحروف النون، والكاف من النصف الثانى، وقـيل: إن النصف بالحروف الكاف من "نكرا".

ومن مقرئ خراسان الذين صنفوا فى علم القـراءات أيضا: أحمد بن محمد بن علـى الهـروى ت ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦م، وصنف "الـتـذكـرة فى القـراءات الثمان"[٥].

ومن كان لهم معرفـة بعلوم القرآن: محمد بن محمد بن أحـمد النيسابورى المقرئ ت ٤٩٠ هـ/ ١٠٩٧ م، وكان عارفا بعلوم القرآن، وتخرج به جماعة[٦].

وممن صنف فى علم القـراءات أبو محمـد الحسـين بن مسعـود بن محـمد البغوى ت ٥١٦ هـ / ١٠٢٣ م، وصنف "الكفاية فى القراءة"[٧].

وابن الغزال على بن مـحمد بن مـحمد النـيسابورى المقـرئ، وله تصانيف مفيدة فى القراءات، وتوفى ٥١٦ هـ/ ١٠٢٣م[٨].

وكذلك لأبى جعفر أحمد بن على المعروف بجعفر: ت ٥٤٤هـ/ ١٠٥١م، "المحيط بلغات القراءات"[٩].

---

(١) ياقوت: معجم الأدباء، جـ٥، ص١٥٧.
(٢) سورة الكهف: الآية ٧٤
(٣) ياقوت: معجم الأدباء، جـ٥، ص١٥٨.
(٤) السيوطى: الإتقان فى علوم القرآن، جـ١، ص١٩٨.
(٥) إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين، حـ١، ص٨١.
(٦) السيوطى: بغية الوعاة، جـ١، ص٣١٢.
(٧) البغدادى: هدية العارفين، ج١، ص٣١٢.
(٨) البغدادى: نفسه، ص٦٩٦.
(٩) حاجى خليفه: كشف الظنون، ج٣، ص١٦١٩.

ومن مقـرئ خراسان المقرئ أبو الفـتح عبد السـلام بن أحمد بن إسمـاعيل الهروى، وتفرد بهذا العلم، وكان حيا سنة ٥٥٥ هـ/ ١٠٥٧م[١].

ب - علم التفسير:

كان تفسـير القرآن الكريم أحد فـروع العلوم الدينية الإسلاميـة، التى ساهم فيها مفسرو خراسان فى العصر السلجوقى.

وعلم التفـسير يعرف به فـهم كتاب الله المنزل على رسـول الله ﷺ، وبيان معانيـه، واستخراج أحكامـه، وحكمه، واستمداد ذلك من علم الـلغة، والنحو، والبيان، وأصول الفقه، والقراءات[٢].

ويقول بن خلدون[٣]: "أعلم أن القـرآن نزل بلغة العرب، وعلـى أساليب بلاغتهم، وكانوا يفهمونه، ويعلمون معانيه فى مفرداته وتراكيبه، وكان ينزل جملا جملا، وآيات آيات، لبيان التوحـيد والفروض الدينية بحسب الوقائع". ومع هذا فلم يكن القرآن جميعه فى متناول الصحابة جمـيعا يستطيعون أن يفهموه - إجمالا وتفصيلا - بمجرد أن يسمعوه[٤]، ومما لا شك فيه أن فى القرآن الكريم الكثير من الآيات التى تحتاج إلى تفسير[٥].

ولما صـار الإسـلام دولة وإقليم خـراسان مـنها، احـتـاجـوا إلى الأحكام والقوانين، كان القرآن مصدر استنباطهـا، فزادت العناية فى تفسيره، وأصبح القراء والمفسرون مرجع المسلمين فى استخراج تلك الأحكام[٦].

---

(١) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٣، ص٣٥.

(٢) الزركشى: بدر الدين محمد بن عـبد الله ت ٧٩٤هـ/ ١٤٨٩م، البرهان فى علوم القرآن، عدة أجـزاء، تحقيق د/ مـحمد أبو الـفضل إبراهيم، المكتبـة العصريـة، بيروت، لبنان، بدون، جـ١، ص١٣.

(٣) المقدمة: جـ٢، ص٣٩١.

(٤) أحمـد أمين: فـجر الإسلام، ط٢، لجنة التـأليف والترجـمة والنشـر، ١٩٦٤م، القلارة ص١٩٥.

(٥) يحيى وهيب الجبورى: الكتاب فى الحضارة، ص٥٧.

(٦) الخربوطلى: الحضارة العربية الإسلامية، ص,٢٤٧

ارتقى علم التفسير فى العصر السلجوقى رقيا كبيرا، لوجود العديد من الفرق الدينية، كالسنة، والشيعة، والمتصوفة، والمعتزلة، حيث حاولت كل فرقة إثبات عقائدها فى كتب تفيرها، حيث كان كل علماء كل فرقة ينظرون إلى القرآن، ويفسرونه من وجهة نظرهم، ويكتفون فى أحكامهم بالاعتماد على تفكيرهم وإطلاعهم، باحثين فى نطاق ما تخصصوا فيه من فنون، فالعالم النحوى مثلا ينظر فى القرآن من جهة قواعد النحو، والفقيه من حيث قواعد الفقه، وعالم الأخبار ينظر فيه من جهة القصص والأخبار، والصوفى من ناحية التصوف[1].

ولقد اتجه المفسرون فى تفسير القرآن الكريم اتجاهين:

الأول:

يعرف بالتفسير النقلى "المأثور"، ويستند إلى الآثار المنقولة عن السلف، وهى معرفة الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، ومقاصد الرأى، وكل ذلك لا يعرف إلا بالنقل عن الصحابة والتابعين[2]. أى ما روى عن الرسول ﷺ من شرح وتفسير القرآن، وما أثر عن كبار الصحابة والتابعين[3]، وقد حظى هذا النوع بتشجيع الأئمة الكبار بخراسان، وفى ذلك يقول إمام الحرمين الجوينى[4]: "فالأولى الأتباع، وترك الإبداع"، وقد وجد العامة أن هذا النوع من التفسير يلائمهم لسهولة فهمه وبساطة شرحه وبعده عن التعقيد[5].

ومن أشهر مفسرى خراسان فى هذا النوع من التفسير أبو المعالى الجوينى إمام الحرمين ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م، الذى ظل طول حياته يفسر المذهب

---

(١) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة، ص٣٧٩، ٣٨٠، عبد اللطيف حمزة: الحركة الفكرية فى مصر فى العصرين الأيوبى والمملوكى، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩م، ص١٨٧.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، جـ٢، ص٣٩٢.

(٣) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص٢٠٠، على محمد عمر: دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية، المنيا بدون، ص٣١٦.

(٤) عبد الملك: بن عبد الله بن يوسف ت٤٨٧هـ/ ١٠٨٥م، العقيدة النظامية فى الأركان الإسلامية، بغداد، ١٩٥٥، ص٧٥.

(٥) القابسى: التعليم فى رأى القابسى، بغداد، ١٩٦٩م، ص٧٤، ٧٥.

الشافعى، ويدافع عن العقيدة الأشعرية التى كانت تواجه، المعتزلة فى ذلك الوقت، ومن أهم أثاره التفسير المسمى "تفسير الجوينى" و"تفسير إمام الحرمين"[١].

أما النوع الثانى من التفسير وهو التفسير العقلى وهو الذى يرجع إلى اللسان عن معرفة اللغة والبلاغة فى تأدية المعنى بحسن المقاصد والأساليب، وهذا الصنف من التفسير قل أن ينفرد عن الأول هو المقصود بالذات، وإنما جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعات[٢]. أى أن هذا النوع من التفسير، كان يعتمد على العقل أكثر من اعتماده على النقل، وذلك سمى التفسير بالرأى أيضا، وقد شغف به المعتزلة، والباطنية "الشيعة"، حيث لجأوا إلى تفسير وتأويل القرآن بما يتفق وعقيدتهم، وقد أحيط أصحاب هذا النوع من التفسير فى العصر السلجوقى بكثير من القيود لعارض أرائهم مع رأى سلاطين ووزراء السلاجقة[٣].

ومن أشهر التفاسير فى هذا النوع أيضا "الكشاف فى تفسير القرآن" للزمخشرى المعتزلى ت ٥٣٨ هـ/ ١١٤٣ م[٤].

ومن أشهر علماء هذا النوع محمد بن الحسين بن على، أبو جعفر الطوسى، الشيعى ت ٥٤٠ هـ/ ١١٤٦م، وله "تفسير الطوسى"، وقد أحرقت داره وكتبه عدة مرات[٥].

ومن أقطاب التفسير فى خراسان خلال العصر السلجوقى أبى القاسم عبد

---

(١) حاجى خليفة: مصطفى بن عبد الله القسطنطى الرومى الحنفى الشهير بالملا كاتب الجلبى ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، ٧ أجزاء ٣ مجلدات، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، جـ١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص٤٤٣.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، جـ٢، ص٣٩٤.

(٣) رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسى، ص٨٢.

(٤) ابن خلدون: المقدمة، جـ٢، ص٣٩٤، الزركلى: خير الدين، الإعلام، "قاموس تراجم"، ط٢، طبعة كوستاتسوماس، بدون، جـ٨، ص٥٥.

(٥) السبكى: طبقات الشافعية، جـ٤، ص١٢٦، ١٢٧، ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٢، ص١٠٥، حاجى خليفة: كشف الظنون، جـ١، ص٤٥٢.

الكريم بن هوازن القشيرى النيسابورى ت ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م، وله "التفسير الكبير"[١]، وسماه "كتاب التيسير فى علم التفسير"، وهو من أجود التفاسير[٢]، وعلى بن أحمد بن محمد بن على أبو الحسن الواحدى النيسابورى ت ٤٦٨هـ/ ١٠٧٥، وصنف التفاسير الثلاثة البسيط فى نحو ستة عشر مجلدا، و"الوسيط" فى أربع مجلدات، و"الوجيز"، ومنه أخذ الغزالى ت ٥٠٥ هـ/ ١١١١م هذه الأسماء[٣].

ومن مفسرى خراسان أيضا أبو المظفر الاسفراينى ت ٤٧١ هـ/ ١٠٧٨م، وصنف تفسيره المسمى "تاج التراجم فى تفسير القرآن للأعاجم"[٤].

والمفسر شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصارى الهروى ت ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م، وكان إماما كاملا فى التفسير، وفسر القرآن زمانا[٥]، أبو المظفر السمعانى ت ٤٨٩ هـ/ ١٠٩٦م، وله "تفسير القرآن"[٦]، الغزالى ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م، وصنف فى التفسير "ياقوت التأويل فى تفسير القرآن" فى أربعين مجلدا[٧]، أبو المحاس مسعود بن على بن أحمد البيهقى ت ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م، وله "تفسير القرآن أيضا "[٨].

ومن مفسرى الفترة المتأخرين: أبى سعد السمعانى ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م، وله "تفسير القرآن"[٩] أيضا.

جـ - علم الحديث

عنى المسلمون بالحديث النبوى عناية خاصة منذ عهد الرسول ﷺ، وأقدم

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم، جـ٨، ص٢٨٠.
(٢) الأدنة دى: طبقات المفسرين، ص١٢٦.
(٣) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٣، ص٣٣٠.
(٤) حاجى خليفة: كشف الظنون، جـ١، ص٤٤٢.
(٥) الأدنة دى: طبقات المفسرين، ص١٣٧، ١٣٨.
(٦) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٢، ص١٦٥، البغدادى: هدية العارفين، جـ١، ص٤٧٣
(٧) الأدنة دى: طبقات المفسرين، ص١٥٢.
(٨) حاجى خليفة: كشف الظنون، جـ١، ص٤٤٤.
(٩) حاجى خليفة: كشف الظنون، جـ١، ص٤٤٩.

من سمع هذه الأحـاديث، الصحـابة وحفظوها، ولذلك فـهو المصـدر الثانى من مصادر التشريع الإسلامى، فوضعوا له قوانين الرواية، وكان من أهم هذه القوانين البـحث عن سند الحـديث، وفـحص أحـوال الرواة، وبذلك تمكنوا من تقـسـيم الأحاديث بحسب متونها من جهـة، وبحسب أسانيدها من جهة أخرى، واستنبطوا مصطلحـات خاصة عرفوا بـها، ودققوا فـىى الالتزام بهـا، فأصبح علمـا قائما بذاته[١].

قال السمـعانى[٢] " أعلم وفقك الله أن علم الحـديث، أشرف العلوم بعد العلم بكتاب الله سبحانه وتعالى، إذ الأحكام مبنيـة عليها ومستنبطة منهما، والله سبـحانه وتعالى شـرف نبينا عليه الصـلاة والسلام، حيث قـال: "وما ينطق عن الهوى إن هوى إلا وحى يوحى"[٣].

ويقـول ابن الصلاح فى مـقدمـته[٤]: "إن علم الحديث من أفـضل العلوم الفاضلة، وأنواع الفنون النافعة"، كما ذكر فهرست لأنواع الحديث، فعدده خمسة وستون نوعا[٥].

وعلم الحـديث من أهم مصـادر التشريع الإسـلامى، ولذلك نالت دراسـته الكثير من الإهتمام والرعاية، وكان الراغـبون فى دراسته يتنقلون فى البلاد للسماع من كبار المحدثين الذين اشتـهروا بالدقة والتحقيق[٦]، وقد نال الحديث حظا وافرا من جهـود الفقهاء، كـما عنى سلاطين ووزراء السـلاجقة بعلم الحديث، فـتولى

---

(١) على الزهرانى: الحياة العلمية فى صقلية الإسلامية، ص٢٨٠.

(٢) السمعـانى: أبى سعد عبد الكريم بـن محمد بن منصور التـميمى ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م، أدب الإملاء والاستملاء، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون، ص٣.

(٣) سورة النجم: الآية ٤.

(٤) ابن الصلاح: أبو عـمر بن عـثمان ت ٦٤٣هـ/١٢٤٤م، مـقدمه ابن الـصلاح فى علوم الحديث، مكتبة المثنى، بدون، ص٣.

(٥) ابن الصلاح: المقـدمة، ص47:، للمزيد راجع ابن خلدون: المقـدمة، جـ٢، ص٣٩٥: ٣٩٧.

(٦) عبـد الهادى رضـا: الوزارة ونظام الملك الطوسى، رسـالة دكتـوراه غير مـنشورة، آداب القاهرة، بدون، ص٢١٠، ٢١١.

الكثير من المحدثين فى عهدهم القضاء[1]، وزخرت نيسابور ومرو، وهراة، وبلخ، بالمحدثين وقد كان على المحدث أو المفسر أو الراغب فى تعلم الحديث أن يعرف أسانيد الرجال وأسماؤهم، ومراتبهم، ويحفظ قدرا كبيرا من الأحاديث، ويقرأ الكتب الستة الصحيحة وهى: صحيح البخارى، وصحيح مسلم، سنن ابن ماجه، سنن أبى داود، وجامع الترمذى، وسنن النسائى، كما كان الواجب أن تكون قراءته تلك على أستاذ كى يحصل منه فى النهاية على تصريح بروايتها، وكان عليه أيضا أن يحفظ كتاب مسند الإمام أحمد بن حنبل أو موطأ الإمام مالك[2].

وقد اعتمد علماء الحديث اعتمادا كبيرا على الرحلة فى طلب الحديث ولقيا الشيوخ، والتثبت من الأسانيد، وهى ظاهرة مهمة جدا تدل على مدى العناية والاهتمام بحديث رسول الله، وعلى الرغم من ذلك ظهرت الوجادة[3]، إلا أنها لم تحل محل الرحلة التى كان يقوم بها طلاب الحديث من قبل للقاء رجاله، كما ذكر آدم متز[4]، وإنما تمثل أسلوبا من أساليب تطور تلقى الحديث، فلقد استمرت الرحلة عند علماء الحديث وطلابه عبر العصور[5].

وتطورت طرق نقل الحديث من خلال الرحلة فى طلب العلم، ولم تقتصر على السماع وإنما اتسعت إلى الإجازة، حين يجيز الشيخ لشخص معين فيقول "أجزت تلك الكتاب الفلانى" أو "ما اشتملت عليه فهرستى هذه" فهذا أعلى أنواع الإجازة المجردة عن المناولة[6] واشترطوا فى صحة

---

(١) جعفر حسين خصباك: القضاء فى العراق فى العهد السلجوقى، بحث مستخرج من المجلة التاريخية العراقية، العدد الثالث، بغداد، ١٩٧٤م، ص٣٢١.

(٢) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة، ص٣٨٣، ٣٨٤.

(٣) الوجادة: وهى مصدر لـ"وجديجد" والوجادة هى أن يقف على كتاب شخص فيه أحاديث يرويها بخطة ولم يلقه، ولم يسمع منه ذلك الذى وجده يخطه، فيقول "وجدت بخط فلان أو قرأت بخط فلان، أو فى كتاب فلان بخطه، أو قرأت بخط فلان عن فلان. ابن الصلاح: المقدمة، ص٨٦".

(٤) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، جـ١، ص٣٥٣، ٣٥٤.

(٥) رشاد معتوق: الحياة العلمية، ص٢٩١، الزهرانى: الحياة العلمية، ص٢٨١.

(٦) ابن الصلاح: المقدمة، ص٧٢.

المناولة اقترانها بالإذن بالرواية، وهى أرفع أنواع الإجازة[١].

وعندما يكتب الشيخ إلى الطالب وهو غائب شيئا من حديثه بخطة أو يكتب له ذلك، وهو حاضر يلحق بذلك، ما إذا أمر غيره بأن يكتب له ذلك عنه إليه، يسمى ذلك بالمكاتبة، وهى إما أن تتجرد عن الإجازة، أو تقترن بها وذلك بأن يكتب الإجازة[٢]، وإما أن يوصى الراوى بكتاب يرويه عند موته أو سفره لشخص ما فيعرف ذلك بالوصية[٣].

لقد أدى هذا التنوع الكبير فى أساليب تلقى الحديث إلى تطور علم الحديث فى خراسان، كما نشطت بعض المؤلفات فى معرفة الحديث، ومعرفة الغريب منه، من خلال الرحلة إلى الأقطار الإسلامية، لتلقى هذا العلم الجليل، مما أدى إلى ظهور عدد كبير من المفسرين والفقهاء وممن برعوا فى هذا العلم، كما برز عدد من محدثى خراسان فى العصر السلجوقى منهم:

أبو الحسين عبد الغافر بن محمد عبد الغافر الفارسى، ثم النيسابورى ت ٤٤٨ هـ/ ١٠٥٦م، روى صحيح مسلم، وغريب الخطابى وكان عدلا جليل القدر[٤].

وأبى عثمان الصابونى ت ٤٤٩هـ/ ١٠٧٥م، وله "الأربعين فى الحديث"[٥] وأبى بكر البيهقى ت ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٦م، وله "المحيط" فى الحديث[٦]، وأبى القاسم القشيرى ت ٤٦٥ هـ/ ١٠٧٢م، سمع الحديث، وحدث كثيرا[٧]، وله الأربعين فى الحديث[٨].

---

(١) ابن حجر العسقلانى: أحمد بن على ت٨٥٢هـ/١٤٤٩م، نخبة الفكر فى مصطلح أهل الفكر، تحقيق وتدقيق د/ محمود محمد حمودة، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ص٣٣.

(٢) ابن الصلاح: المقدمة، ص٨٣.

(٣) ابن الصلاح: نفسه، ص٨٥.

(٤) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٣، ص٢٧٧، ٢٧٨

(٥) حاجى خليفة: كشف الظنون، جـ١، ص٥٣.

(٦) البغدادى: هدية العارفين، جـ١، ص٧٨.

(٧) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٢، ص١١٥، ١١٦.

(٨) حاجى خليفة: كشف الظنون، جـ١، ص٥٨.

ومن رجال الحديث فى خراسان أبو محمد عبد الله بن عطاء بن عبد الله بن أبى منصور بن الحسن الهروى، المحدث الحافظ، أحد الحفاظ المشهورين الرحالين، سمع بهراة من شيخ الإسلام الأنصارى ت ٤٨١ هـ/ ١٠٨٨م، وبنيسابور من القشيرى ت ٤٦٥ هـ/ ١٠٧٢م، وغيرهم وكتب بخطة الكثير، وخرج التاريخ للشيوخ، وحدث وروى عنه جماعة، وتوفى سنة ٤٧٦ هـ/ ١٠٧٤م[١].

ومن محدثى مرو أبو بكر محمد بن منصور بن عبد الجبار بن أبى المظفر السمعانى ت ٥١٠هـ/ ١٠١٧م، سمع الحديث من أبيه أبى المظفر ٤٨٩هـ/ ١٠٩٦، وجماعة، ورحل فى طلب الحديث، وعاد إلى مرو وأملى بها مائة وأربعين مجلسا فى جامعها[٢].

والحافظ أبو الفتح نصر بن إبراهيم الهروى ت ٥١١هـ/ ١٠١٨م، وله مصنفات فى الحديث منها "المسند فى الحديث" فى ثلاث مجلدات[٣].

وأبو محمد الحسين بن مسعود بن محمود البغوى ت ٥١٦هـ/ ١٠٢٣م، ومن تصانيفه فى علم الحديث، "الجمع بين الصحيحين مسلم وبخارى" و"شرح السنة فى الحديث"، و"مصابيح السنة" فى أربعة آلاف وسبعمائة وتسعة عشر حديثا"[٤].

ومن أعيان المحدثين بخراسان، المحدث الحافظ عبد الغافر بن إسماعيل بن أبى الحسينى عبد الغافر بن محمد الفارسى، ثم النيسابورى، وصنف فى علم الحديث "المفهم لشرح مسلم"، وتوفى ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م[٥].

---

(١) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٣، ص٣٥٢، ٣٥٣.

(٢) ابن الجوزى: المنتظم، جـ٩، ص١٨٨.

(٣) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، جـ٢، ص٤٩٩.

(٤) البغدادى: هدية العارفين، ص١، ٣١٢.

(٥) الذهبى: تذكرة الحفاظ، جـ٤، ص١٢٧٥.

د - علم الفقه وأصوله:

يطلق لفظ الفقه فى اللغة على الفهم مطلقا، إذ يقال فهمت كلامك[١]، قال تعالى "فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا"[٢].

ويعد الفقه من أبرز العلوم الدينية الإسلامية التى إشتغل بها المسلمون، فقد احتيج إليه لتيسير شئون أحوالهم الشخصية ومعاملتهم المدنية، وذلك عن طريق وضع الأحكام الشرعية بين الرعاية، وكان أساسه القرآن والسنة.

يقول بن خلدون[٣]: "الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى فى أفعال المكلفين بالوجوب والندب والكراهة والإباحة، وهى متلقاه من الكتاب والسنة، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه"

وبذلك فإن المسلمون استخرجوا أحكامهم من القرآن والسنة، وكانت السنة شارحة للقرآن الكريم، تبين مجمله، فالسنة أو أحاديث الرسول بينت كثيرا من آيات القرآن، كالذى فى آيات الصلاة والزكاة، فالقرآن لم يبين هيئات الصلاة ولا أوقاتها ولم يبين المقادير الواجبة فى الزكاة ولا شروطها، إنما يبين ذلك الرسول ﷺ بقوله أو فعله[٤].

أما علم أصول الفقه فقد عرفه حاجى خليفة[٥]: فقال " هو علم يتعرف منه استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها الإجمالية الأربعة الكتاب والسنة والإجماع[٦] والقياس[٧]".

---

(١) السيد عبد العزيز العدوى: المرشد فى الفقه الإسلامى، جزءان، ط١، مكتبة مروة للطباعة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، جـ١، ص١٢.

(٢) سورة النساء: الآية ٧٨.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، جـ٣، ص١.

(٤) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص٢٣٣.

(٥) صاحب خليفة: كشف الظنون، جـ١، ص١١٠.

(٦) الإجماع: هو اتفاق الصحابة من المهاجرين والأنصار، وكذلك اتفاق العلماء فى الأمصار فى كل عصر دون غيرهم من العامة الخوارزمى: محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م، مفاتيح العلوم، ط٢، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ص٧.

(٧) القياس: نوعان: قياس علة، وقياس شبه. فقياس العلة: أن تجمع المقيس والمقيس به.=

وأول من كتب فى هذا العلم الشافعى رضى الله عنه وأصحابه، ثم كتاب فقهاء الحنفية، وكتب المتكلمون أيضا فيه[1].

وحظى علم الفقه وأصوله فى عهد السلاجقة باهتمام كثرة من المؤلفين، خلفوا لنا العديد من الكتب التى بلغت من التنظيم والتعليل، وإبداء وجهات النظر فى المشكلات الشرعية مرحلة لا نجد لها نظير من قبل، وتقدم علم الأصول بصورة لم يحدث نظيرها فى العصور السابقة على العصر السلجوقى، وتجلى ذلك واضحا فى كتب الأئمة، كالقشيرى ت ٤٦٥ هـ/ ١٠٧٣م والجوينى ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م والغزالى ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م، والسمعانى ت ٥٦٢ هـ/ ١١٦٦م وغيرهم، وبدت أكثر وضوحا فى الأثار التى استخلصت من أحكام الشريعة فى نظام الإدارة والحكم وواجبات الملوك بعد أن كانت داخلة فيها ممزوجة بها[2].

وكانت المذاهب الفقهية الأربعة الشافعية، والحنفية، والحنبلية، والمالكية، تدرس وتلقى الأتباع من الدارسين على تعلمها، غير أن نظام الملك كان يخص أصحاب المذهب الشافعى بالاهتمام[3]، مما دعا بعض الدارسين للانتقال إلى المذهب الشافعى مثل ابن السمعانى وكان كل من يبلغ درجة معينة من الفقه ينال إجازة من كبار الفقهاء[4].

ومن أشهر فقهاء الشافعية فى هذا العصر: أبو الفتح القرشى، ناصر بن الحسين العامرى المروزى الشافعى، مفتى أهل مرو، ت ٤٤٤ هـ/ ١٠٥٢م، وصار عليه مدار الفتوى والتدريس والمناظرة، وصنف كتبا كثيرة[5].

والفقيه الشافعى أبى القاسم عبد الرحمن بن محمد المروزى ت ٤٦١ هـ /

=والقياس شبه: أن لا تجمع المقيس والمقيس به عله. ولكن يقاس به على طريق التشبيه، وكثير من الفقهاء لا يفرقون بينها. الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص٧، ٨، ابن خلدون: المقدمة، حـ٢، ص٢١

(١) ابن خلدون: المقدمة، جـ٢، ص٢١.

(٢) الماوردى: الأحكام السلطانية، ص٢.

(٣) عقيلى: آثار الوزراء، ص٢٠٧.

(٤) البغدادى: تاريخ بغداد، جـ١٢، ص٢٣٤.

(٥) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٣، ص٢٧٢.

١٠٦٨ م، وصنف "الإبانة" فى الفقه الشافعى وهو كتاب مشهور بين الشافعية فى خراسان والشرق الإسلامى[١]، ومن تلاميذه عبد الرحمن بن المأمون بن على بن إبراهيم جمال الدين أبو مسعد الفقيه النيسابورى الشافعى ت ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٣م، وقام بتتمة "الأبانة" فى الفقه لإستاذه، وصنف "الغنية فى الأصول"[٢].

ومن فقهاء الشافعية الذين صنفوا فى المذهب شيخ الشافعية العبادى القاضى أبو عاصم محمد بن أحمد بن محمد بن عباد الهروى، صاحب التصانيف المشهورة، منها "أدب القاضى" و"الهادى"، و"كتاب المياه"، و"كتاب الأطعمة"، و"كتاب الزيادات"، "زيادات الزيادات"، و"كتاب طبقات الفقهاء"، ت ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٦ م[٣]، ومن تلاميذه محمد بن أحمد بن يوسف الهروى ت ٥١٨ هـ/ ١٠٢٥م، وصنف "شرح أدب القاضى" على مذهب الشافعى، لاستاذه أبى عاصم[٤].

ومن فقهاء الشافعية أيضا أبو نصر الأرغيانى الشافعى ت ٥٢٨هـ/ ١٠٣٥م، ومن تصانيفه الفتاوى المستخرجة من نهاية المطلب وتعرف بفتاوى النهاية[٥].

شيخ الشافعية محمد بن يحيى، أبو مسعد النيسابورى، وله التصانيف المشهورة فى الفقه الشافعى، ومنها كتاب " المحيط فى شرح الوسيط "، وأصبح أستاذ الفقهاء فى عصره، وتوفى ٥٤٨ هـ / ١٠٥٥ م[٦].

هـ - علم التصوف

ليس من السهل تعريف علم التصوف، لاختلاف علماء الصوفية فى

---

(١) حاجى خليفة: كشف الظنون جـ١، ص١.
(٢) البغدادى: هدية العارفين، جـ١، ص٥١٨.
(٣) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٣، ص٣٠٦.
(٤) البغدادى: هدية العارفين، جـ٢، ص٨٤.
(٥) البغدادى: نفسه، جـ٢، ص٨٧.
(٦) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، جـ٣، ص٣٦.

تعريفه[1]، كما أن التصوف كان له فى كل عصر مفهوم خاص[2]، على أنه تعرض لتعريف التصوف العشرات من علماء الصوفية، حيث ورد فى كتاب طبقات الصوفية (التصوف هو تصفية القلب عن موالفقة البشرية. . . . . والوفاء لله سبحانه وتعالى على الحقيقة، واتباع الرسول ﷺ فى الشريعة[3]، وورد فى الرسالة القشيرية " أن التصوف هو أن يكون العبد فى كل وقت بما هو أولى به فى الوقت "[4].

ويرى ابن خلدون[5]: أن علم التصوف من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة واصله " أن طريقة هؤلاء القوم لم تزل عند سلف الأمة، وكبارها من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم طريقة الحق والهداية، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيها، والإنفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة، وكان ذلك عاما فى الصحابة والسلف، فلما خشا الإقبال على الدنيا فى القرن الثانى الهجرى وما بعده، وجنح الناس إلى مخالفة المقبلزن على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة" .

ويرى ابن الجوزى[6]: "أن الصوفية كانوا يختصون بلبس الصوف فقال، "ومن الصوفية من يلبس الصوف، ويحتج بأن الرسول ﷺ لبس الصوف" .

---

(١) أحسان إلهى ظهير: التصوف المنشأ والصادر، ط١، نشر إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص٣٦، فايزة محمد خاطر: قضايا الزهد والتصوف، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٥.

(٢) مريزن عسيرى: الحياة العملية فى العراق، ص١٥٦.

(٣) السلمى: أبى عبد الرحمن ت ٤٢١هـ/ ١٠٢١م، طبقات الصوفية، تحقيق أحمد الشرباصى، ط٢، مؤسسة دار الشعب ص١٥٩، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م

(٤) القشيرى: أبى القاسم عبد الكريم بن هوازن ت ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م، الرسالة القشيرية، تحقيق د/ عبد الحليم محمود، د/ محمود بن الشريف، جزءان، دار المعارف، القاهرة، بدون، جـ٢، ص٤٤١.

(٥) ابن خلدون: المقدمة، جـ٣، ص٥٩، ٦٠.

(٦) ابن الجوزى: جمال الدين أبى الفرج عبد الرحمن ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م، تلبيس إبليس، دراسة وتحقيق وتعليق د/ السيد الجميلى، دار الريان للتراث، القاهرة، بدون، ص٢٧٩.

ويرى ابن خلدون أيضا[1]: "أن الصوفية كانوا يختصون بلبس الصوف فقال عنهم" وهم مختصون بلبسهم، لما كانوا عليه من مخالفة الناس فى لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف"، ويرى القشيرى غير ذلك، فيقول[2]: "إذا تصوف لبس الصوف، ولكنهم لم يختصوا بلبس الصوف".

كان نتيجة لظهور السلاجقة فى القرن الخامس الهجرى أثره فى ازدياد نفوس التصوف فى إيران وخراسان[3]، أكثر من ذى قبل، مما أدى إلى انتشار وجهة نظر الصوفية المتشائمة بالنسبة للحياة المادية والدنيوية[4]، وكانت مجالس الوزير نظام الملك الطوسى ت ٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢م، مأهولة بالأئمة والزهاد[5]، وانتشرت فى عهده الزوايا، والأربطة، والخوانق، وكان من نتيجة ذلك أن أصبح إقليم خراسان مقرا للصوفية.

ولقد تطور علم التصوف، وانتشرت الطرق الصوفية، وكان لكل منها شيوخها ومؤسسوها التى تسمى الطريقة باسمهم، الذين كان لهم بدورهم خلفاء أو شيوخ، وانتشرت كل واحدة من هذه الطرق انتشارا واسعا[6]

ولقد ظهرت عند العلماء والشعراء والكتاب المتصوفة الخراسانيين عقائد الصوفية بأحلى مظاهرها فى آثارهم المنظومة والمنشورة، ونظموا إحساستهم الدقيقة فى عباراتهم الرقيقة كذلك، وأشهر هؤلاء فى العصر السلجوقى الشيخ أبو سعيد بن أبى الخير بن محمد بن أحمد الميهنى ت ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م، طاف بلاد خراسان، لدراسة علوم الدين، ثم لم يلبث أن ترك دراسته واعتنق الصوفية، ومارس الرياضة الصوفية فترة طويلة، وانتهى به الأمر إلى أن أصبح من كبار

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، جـ٣، ص٦٠.

(٢) القشيرى: الرسالة، جـ٢، ص٤٤٠.

(٣) بطروشوفسكى: الإسلام فى إيران، ترجمة د/ السباعى محمد السباعى، ط٢، نشر دار الزهراء، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٣م، ص٣٣٤.

(٤) نظام الملك: سياسة نامة، ص٥.

(٥) بطروشوفسكى: الإسلام فى إيران، ص٣٣٤.

(٦) بطروشوفسكى: الإسلام فى إيران، ص٣٣٨.

مشايخ وشعراء الصوفية المعروفين فى العصر السلجوقى، وتوفى فى موطنه ميهنة سنة ٤٤١ هـ / ١٠٤٩ م[١].

ولقد تتلمذ فى صوفيته على يد كبار مشايخ عصره أمثال الشيخ أبى الفضل السرخسى، وغيره، ولبس خلعة الطريقة على يد الصوفى الكبير أبى عبد الرحمن السلمى ٤١٢ هـ/ ١٠٢١م، ولكنه بلغ منزلة خاصة بين هؤلاء، حتى أصبح من أشهر مشايخ الصوفية فى خراسان، بل ومن أشهر شعراء الرباعيات الصوفية، التى حببت الأفكار الصوفية، والبستها أطيب حلة[٢].

ومن أعلام التصوف فى العصر السلجوقى أبو القاسم القشيرى ت ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م، وصنف الرسالة القشيرية فى التصوف، وهى الأربعة وخمسين بابا، وثلاثة فصول، وهى عمدة فى هذا العلم[٣].

أبو إسماعيل الأنصارى شيخ الإسلام، عبد الله بن محمد بن على الهروى الصوفى ت ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م، وكان شيخ الصوفية بخراسان، وصنف عدة مصنفات فى التصوف[٤] منها "ذم الكلام" وهو مخطوط محفوظ بالمتحف البريطانى، وكتاب "منازل السائرين" وتوجد منه نسخ متعددة فى مكتبات أوروبا[٥].

ومن علماء الصوفية أيضا أحمد بن أبى الحسن على بن محمد بن جرير الخراسانى الصوفى ت ٥٣٦ هـ/ ١٠٤٣م، ومن تصانيفه "أنس المستأنسين"، "وأنيس التأنيس"، "سراج السائرين" فى ثلاث مجلدات، وكتاب الاعتقادات، "التذكيرات"، "مفتاح النجاة" وغير ذلك[٦].

---

(١) إدوارد بروان: تاريخ الأدب فى إيران، ترجمة وتعليق أحمد كمال الدين حلمى، ط١، لجنة التأليف والتعريب والنشر، الكويت، ١٩٩٦، جـ١، ص٣١٣، ٣١٤، إسعاد عبد الهادى: فنون الشعر، ص١٧١.

(٢) رضا زاده شفق: تاريخ الأدب، ص٧٢.

(٣) حاجى خليفة: كشف الظنون جـ١، ٨٨٢.

(٤) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٣، ص٣٦٥، ٣٦٦.

(٥) إسعاد عبد الهادى: فنون الشعر، ص١٨٧.

(٦) البغدادى: هدية العارفين، جـ١، ص٨٣.

و - علم التوحيد

اعلم أن التوحيد دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله[1]، قال تعالى " لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم أعبدوا الله ما لكم من إله غيره "[2].

ومن أشهر علماء التوحيد فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى شيخ الإسلام عبد الله الأنصارى ت ٤٨١ هـ/ ١٠٨٨م، ومن مصنفاته "منازل السائرين" "مجالس التذكير"[3]، وله بالفارسية أشعارا ورباعيات غاية فى العذوبة أشهرها "مناجاة"[4]، وصنف بالفارسية أيضا "زاد العاقبة"، و"أسرار" بالفارسية أيضا[5].

* * * * * *

(١) ابن أبى العز الحنفى: صدر الدين على بن على بن محمد بن أبى العز ت ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م، شرح العقدية الطحاوية فى العقيدة والسلفية، مكتبة دار التراث، القاهرة، بدون، ص١٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٩.

(٣) ابن رجب الحنبلى: طبقات الحنابلة، جـ١، ص٥١.

(٤) إسعاد عبد الهادى: فنون الشعر، ص١٨٧.

(٥) النظامى العروضى: جهاز مقاله، ص١٧٧، ١٧٨.

٢ - العلوم الأدبية واللغوية:

عندما فتح المسلمون إقليم خراسان، وبدأ انتشار الإسلام بين السكان، أخذوا فى تعلم اللغة العربية، التى هى لغة القرآن، مما أضطرهم إلى تعلم النحو، لإصلاح لغتهم الأصلية، وعندما بدا العلماء المسلمون فى تفسير القرآن احتاجوا إلى ضبط المعانى والألفاظ، وتفهم أساليب عباراته، مما جعلهم يبحثون فى أساليب العرب وأقوالهم وأمثالهم فجرهم هذا إلى تعلم العلوم الأدبية من نحو وبلاغة، وأدب، وشعر وغيره من هذه العلوم التى كانت تدرس فى المؤسسات العلمية، مما ساعد على ظهور علماء أجلاء فى مختلف أنواع العلوم الدينية والأدبية، مما أدى إلى إنتاج العديد من المؤلفات الأدبية الكثيرة التى ساهمت بدورها فى تطور الحياة الفكرية فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى.

أ - علم اللغة:

حظيت اللغة العربية وعلومها المختلفة بعناية كبيرة جدا منذ أن شرفها الله تعالى، بأن أنزل القرآن الكريم بها، لذلك نرى أن أهل هذه اللغة، قد اهتموا بها كثير الاهتمام، فأرخوا لها، وجمعوا واستنبطوا منها الأصول.

وفى ذلك يقول ابن خلدون[١]: أن هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية، وذلك أنه لما فسدت ملكه اللسان العربى فى الحركات المسماة عند أهل النحو بالأعراب واستنبطت القوانين لحفظها، ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم، ومخالطتهم حتى تأدى الفساد إلى موضوعات الألفاظ فاستعمل كثير من كلام العرب فى غير موضعه عندهم ميلا مع هجنة المتعربين فى اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الدروس وما ينشأ عنه من الجهل بالقرآن والحديث فشمر كثير من أئمة اللسان لذلك ". وكان أكثر المشتغلين فى جمع اللغة "العجم" لحاجتهم إلى ذلك أكثر من العرب[٢] .

---

(١) المقدمة: ج٣، ص ٢٨٣، ٢٨٤.

(٢) جورجى زيدان، تاريخ التمدن، ج ٣، ص ٨٧.

وكان لعلماء خراسان وأدباؤها نتاج لغـوى كبير أثر فى تطور اللغة فى المدن الإسلامية عامة، وإقليم خراسان خاصة.

ومن أشهر علماء اللغة: أبو عبد الله الحسينى بن أحمد الزونى ت ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م، وكان من اشـهر علمـاء خراسان فـى اللغة وله " المصادر" فـى اللغة، "شرح سبعا معلقة"، "ترجمان القرآن"[١].

واشتهـر أيضا عبـد الملك بن على المؤذن الهروى ت٤٨٩هـ/ ١٠٩٦من وله "المحيط فى اللغة"[٢].

ومن اللغويين أبو الفضل الميدانى النيسابورى ٥١٨هـ/ ١١٢٦م ومن مصنفاته "غريب اللغة" و"المصادر فى اللغة"[٣]، "السامانى فى الإسامى"[٤].

ومن اللغويين أيضا أبى جعـفر أحمد بن على البيهقى المعـروف بجعفر: ت ٥٤٤هـ/ ١١٥٢م، ومن مصنفاته "ينابيع اللغة" [٥] "تاج المصادر فى اللغة" وهو مـصنف جمع فـيه مـصادر القـرآن، ومصـادر الأحاديث، وجـردها عن الأمثـال والأشعار واتبعها الأفعال التى تكثر فى دواوين العرب[٦].

ب - علم النحو:

دعت الفتوح الإسلامية إلى الاخـتلاط بالأعاجم، مما دعى إلى فساد اللغة، خصوصـا فى قراءة القرآن، فاخـتصوا بحاجـة شديدة إلى ضبط قواعـد اللغة[٧]، وظهرت الحاجة إلى علم النحو، إذ به تتبين أصول المقاصد بالأدلة، فيعرف الفاعل من المفعول، والمبتدأ من الخبر، ولولاه لجهل أصل الأفادة [٨].

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص ٢٢١ - ٢٢٢.
(٢) حاجى خليفة: كشف الظنون، ج٣، ص ١٦٢١.
(٣) البغدادى: هدية العارفين، ج١، ص ٨٢.
(٤) الأنبارى: نزهة الألباء، ص ٢٨٨.
(٥) البغدادى: المصدر السابق، ج١، ص٨٤.
(٦) حاجى خليفة: المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٩.
(٧) جرجى زيدان: تاريخ التمدن، ج٣، ص ٨٥.
(٨) ابن خلدون: المقدمة، ج ٢، ص ٢٧٩.

وأول من وضع النحو هو أبو الأسود الدؤلى ظالم بن عمر[١]، ويقول ابن خلكان [٢]، قيل أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه، وضع له الكلام كله ثلاثة أضرب: اسم وفعل وحرف، ثم رفعة إليه وقال له تمم على هذا. وإنما سمى بالنحو لأن أبا الأسود قال: أستأذنت على بن أبى طالب رضى الله عنه، أن أضع نحو ما وضع، فسمى بذلك نحو والله أعلم[٣].

ولقد تطور هذا العلم فى سائر البلدان الإسلامية، وخاصة إقليم خراسان.

ومن أشهر علماء النحو: محمد بن احمد المعمورى البيهقى ت ٤٨٥هـ/ ١٩٢م، وصنف كتاب فى النحو، وكتاب فى التصريف[٤].

أبو الحسن النيسابورى ت ٥١٦هـ/ ١١٢٤م، وله تصانيف مفيدة فى النحو[٥].

أحمد بن محمد بن أحمد بن احمد الميدانى النيسابورى، أبو الفضل الإمام الفاضل ت ٥١٨هـ/ ١١٢٦م، الأديب النحوى اللغوى، وصنف "الأنموذج فى النحو"، "نزهة الطرف فى علم الصرف"[٦] و"الهادى الشادى"، فى النحو أيضا[٧].

---

(١) اليافعى: عفيف الدين عبد الله بن أسعد ت ٧٦٨هـ/ ١٢٧٦م، مرآه الجنان وعبرة اليقظان فى معرفة حوادث الزمان، تحقيق عبد الله الجبورى، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٤م، ج١، ص ٢٣١، ٢٣٢، على النجدى ناصف: تاريخ النحو، دار المعارف، القاهرة، بدون، ص٨.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥،ص ٥٣٥، احمد أمين: ضحى الإسلام، ج١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢م، ص ٢٦١.

(٣) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٥٦٨، على محمد عمر: دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٣٣٠.

(٤) البغدادى: هدية العارفين، ج١، ص٧٧.

(٥) البغدادى: نفسه، ص ٦٩٦.

(٦) السيوطى: بغية الوعاة، ج١، ص ٣٤٢.

(٧) الأنبارى: نزهة الألباء، ص٢٨٨.

ج - علم الأدب (الشعر - النثر)

حظى الأدب بالعناية والاهتمام فى العصر السلجوقى، فقد حفلت هذه الفترة بأدباء أجلاء، ألفوا فى فنون الأدب وبلاغته وتاريخه.

وكان الأدب يحوى فروع السان العربى متداخلة "فكان المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته وهى الإجادة فى المنظوم والمنثور على أساليب العرب، ومناحيهم من شعر عالى الطبقة وسجع متساو فى الإجادة ومسائل من اللغة والنحو مثبوته فى أثناء ذلك، متفرقة، يستقرى منها الناظر الغالب معظم قوانين العربية. والمقصود بذلك كله لا يخفى على الناظر فيه، شىء من كلام العرب وأساليبهم ومناحى بلاغته"[(١)].

وعندما أخذ المسلمون فى تفسير القرآن احتاجوا إلى ضبط معانى ألفاظه، وتفهم أساليب العرب وأقوالهم وأشعارهم وأمثالهم[(٢)]. وفى ذلك يقول ابن خلدون[(٣)] الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها والأخذ من كل علم بطرف يريدون م علم اللسان، والعلوم الشرعية من حيث متونها فقط، وهى القرآن والحديث، غذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم العرب، إلا ما ذهب إليه المتأخرون". وهكذا كان القرآن منبعا لثقافة روحيه وعقلية جديدة[(٤)].

كان الأدب فى العصر السلجوقى المرآة التى الوضع الاجتماعى والسياسى والفكرى، كما كان النتاج الأدبى الضخم فى هذا هو الذى أظهر الوضع الثقافى والعلمى والفكرى والأدبى[(٥)].

كما أن السلاجقة شجعوا العلماء، وانفقوا على الأدباء العرب والفرس على السواء.

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ج٣، ص ٢٩٤، ٢٩٥، حاجى خليفة: شف الظنون، ج١، ص ٥٥.

(٢) جرجى زيدان: تاريخ التمدن، ج٣، ص ٨٧.

(٣) المقدمة: ص ٢٩٥.

(٤) أحمد أمن: ضحى الإسلام، ج١، ص ٣٢٨.

(٥) مريزى عسيرى: الحياة العلمية فى العراق، ص ٢٧٦، ٣٧٧.

ومن أدباء خراسان أبو الحسن الأديب عبد الله بن أحمد بن الحسين ت ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م، ومن مصنفاته "شرح ديوان المتنبى"، وشرح الحماسة"، و"شرح أبيات أمثال عبيدة"[١].

والأديب أبو منصور عبد الله بن سعيد بن مهدى الخوافى ت ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م، وكان أديبا فاضلا، كثير الرواية، وأكثر رواياته كتب الأدب، وكان قد جمع كتبا من كل فن[٢].

ومن علوم الأدب (الشعر والنثر)

١ - علم الشعر

الشعر صناعة بها الشاعر يؤلف، المقدمات المهمة، والقياسات المنتجة على وجه يجعل المعنى الصغير كبيرا، والكبير صغيرا، ويرد الحسن فى زى القبيح، ويجلو القبيح فى صورة الحسن[٣].

تعددت أنواع الشر السلجوقى، ووجدنا شعراء عربان وشعراء فرسا، وهؤلاء الفرس هم الذين أمدوه بكثير من ألوان الخيال الخصب، ودقة التعبير وعمق الإحساس، كما أضافوا إليه مجموعة من الأراء الجددية التى اكتسبوها من الحياة الإسلامية، ولكن يلاحظ أن أسلوب الشعر فى بداية العصر السلجوقى كان خاضعا لتأثير الأسلوب الشعرى الذى ساد فى العصر الغزنوى، كما كان بعض شعراء السلاجقة يجاملون إحياء أسلوب، ومع ذلك كان شعراء العصر السلجوقى بتأثير عوامل أدبية وكرية جديدة، أصحاب ابتكارات خاصة تعد سمة بارزة لتطور الأسلوب فى أشعار عهدهم[٤].

ومن شعراء خراسان من أصحاب الدواوين الشعرية على بن عبده النيسابورى ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م، وكان له ديوان شعر[٥].

---

(١) السيوطى: بغية الوعاة، ج٢، ص٢٩.
(٢) الأنبارى: نزهة الأنباء، ص ٢٦٢.
(٣) النظامى العروضى: هجار مقاله، المقالة الثانية، ص ٣٤.
(٤) بيح الله صفا: تاريخ أيبات در إيران، ج٢، ص ٣٣٥.
(٥) البغدادى: هدية العارفين، ج١، ص ٦٩٦.

ومن شعراء خراسان المقربين من الوزراء، الباحرزى ت ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م، وكان مقربا من الوزير أبى نصر الكندرى ت ٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م، وكان يحضر مجلسه ومن مصنفاته "خريدة القصر وعصره أهل العصر" وتناول فيه شعراء عصره[١] الأمير المعزى النسابورى ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م، وكان صاحب حظوة فى بلاد السلطان سنجر المتوفى ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م، وقد نال لقب "أمير الشعراء" فى بلاط سنجر[٢]، ومن مؤلفات ديوان شعر ملئ بالقصائد والغزليات والرباعيات[٣].

ومن شعراء الرباعيات أيضا أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيام، النيسابورى، وكان معاصرا للسلطان ملكشاه، وأدرك عهد أبنائه بركياروق، وسنجر (٤٨٥ - ٥٢٢هـ/ ١٠٩٢ - ١١٥٧م)[٤] وترجع شهرة الخيام إلى رباعياته التى اشتهرت فى العالم اجمع، وترحمت إلى اغلب لغات العالم[٥].

ومن شعراء خراسان المشهورين فى العصر السلجوقى أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردى، ت ٥٠٧هـ/ ١١١٣م، وقد أحب الأبيوردى الشعر والأدب، وألم من كل علم بطرف، وكان أوحد زمانه فى علوم عديدة، كالنحو واللغة والأدب[٦].

٢ - علم النثر:

كان الشعر يشغل مكانة مهمة بين علوم اللسان العربى السائدة فى إقليم خراسان، إلا أنه كان تقدير والإجلال للكلام النثور، إلى جانب تقديم الشعر، وكانت ملكة الخطابة تعتبر شيئا آخر مخالفا للملكة الشعرية[٧].

---

(١) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج٤، ص ١٧: ٢٢.
(٢) رضا زاده شفيق: تاريخ الأدب، ٨٩، ٩٠.
(٣) أحمد كمال الدين: السلاجقة، حاشية٢، ص ٣٢٢.
(٤) النظامى المعروضى: جهار مقالة، ص ٦٩، ٧٠.
(٥) أحمد كمال الدين حلمى: عمر الخيام، ص ٥٣٥.
(٦) ممدوح حقى: الأبيوردى ممثل القرن الخامس فى برلمان الفكر العربى، ص ٩١ - ٩٢، أحمد كمال الدين: السلاجقة، ص ٣١١، ٣١٢.
(٧) آدم متز: الحضارة الإسلامية، ج١، ص ٤٤٤.

وقد زاد الإسلام ملكة الخطابة بلاغة وحكمة بما كان تيوخاه الخطباء من مجاراة أسلوب القرآن، واقتباس الآيات القرآنية، وكانت الخطابة أوسع مجالا لهذا الاقتباس من الشعر[١]، وكانت طريقة كتابة الرسائل للتمرين على إظهار صورة البلاغة وأساليبها [٢]، وصورة البلاغة هنا كما يقول ابن خلدون[٣]" مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه" ويقول ابن خلدون أيضا[٤] أن صناعة الكلام نظما ونثرا إنما هو فى الألفاظ لا فى المعانى" .

ولقد ظهرت وتطورت دواوين الرسائل والإنشاء فى هذا العصر، كما كان يمتاز العصر السلجوقى بظاهرة فريدة وهى أنه أول عصر يظهر فيه أول شعراء الصوفية، وأول عصر يظهر فيه أول مؤلفات عرفانية نثرية باللغة الفارسية[٥].

ومن الأدباء فى علم النثر: أبو حامد محمد بن إسحاق بن على داود الزوزنى البحاثى ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م، وكان له طريقة فى الهجاء فى النظم والنثر لم يسبق ليها[٦].

والأديب البارع على بن أحمد النيسابورى، صاحب النظم والنثر الجارئين فى سلك السلاسة، ت ٥١٣هـ/ ١٠٢١م [٧].

٣ - المقامة[٨]:

تطور فن آخر من فنون الأدب العربى، هو فن المقامة، وأول من طور المقامة

---

(١) جرجى زيدان: تاريخ التمدن، ج٣، ص ١١٥.

(٢) أدم متز: الحضارة، ج١، ص ٤٤٤.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، ج٣، ص ٣١٣.

(٤) ابن خلدون: نفسه، ص ٣٤٤.

(٥) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة، ص ٢٦٠.

(٦) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج٥، ص ٢٢٨ وما بعدها.

(٧) السيوطى: بغية الوعاة، ج٢، ص ١٤٢.

(٨) المقامة: الراجح أن هذه الكلمة اسم مكان من "أمام" والمعنى أنها موضع للإقامة، ثم انتقل من هذا المعنى هذا المعنى، فأصبحت دالة على حديث شخص، فى المجلس سواء أكان قائما أم جالسا. شوقى ضيف: فنون الأدب العربى (الفن القصصى) المقامة، ط٧٧، دار المعارف، القاهرة، بدون، ص ٧، ٨ مريزن عسيرى: الحياة العلمية، ص ٣٩٤.

فى المواعظ فى هذا العصر هو القاسم على بن محمد بن عثمان الحريرى ت ٥١٦هـ ١١٢٤م، وهو أحد أئمة الأدب واللغة، فاق أهل زمانه بالذكاء والفصاحة وأنشأ المقامات، وسار فى الآفاق ذكرها وانتشرت، وكتبت بها النسخ المتعددة[١].

ومن أدباء خراسان الذين ألفوا فى المقامات خلال العصر السلجوقى حميد الدين البلخى ت ٥٥٩هـ/ ١٠٦٧م وله مقامات حميدى "باللغة الفارسية وهى عبارة عن ٢٣ مقامة شهورة[٢].

كذا كانت العلوم الأدبية واللغوية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالعلوم الدينية الشرعية"، لاحتياج العلماء وخاصة العم لتعلم اللغة العربية، التى هى لغة القرآن، وتعلم النحو والأدب لاحتياجهم لضبط المعانى والألفاظ أساليب عبارات القرآن الكريم، مما دفعهم إلى تعلم العلوم الأدبية واللغوية من لغة، ونحو، وأدب، وشعر، وغيره من تلك العلوم.

(١) رضا زاده شفق: تاريخ الأدب، ص ٢٤٦، ٢٤٧.
(٢) البغدادى: هدية العرفين، ج١، ص ٢٣٤.

ثانيا: العلوم العقلية

تضافرت عدة عوامل فى العصر السلجوقى لتأخذ بيد العلوم العقلية إلى طريق الضعف، ومن هذه العوامل، الاهتمام بالوضع السياسى والاجتماعى، وما كان يلقاه علماء الدين من تأييد، وما كانوا عليه من قوة ونفوذ، وتعصب الفقهاء والعلماء والسلاطين والوزراء بل الخلفاء، وذوى الجاه بشدة لعقائدهم المذهبية[١].

ومن المعروف أن العلوم العقلية وعلى رأسها الفلسفة، قد قوبلت بتعصب ومقارنة شديدين، وكان علماء السنة والحديث والمعتقدين بظواهر الأحكام والآيات من بين السلمى يرون فى كل ألوان البحث والاستدلال واللجوء إلى العقل لحق بالمعضلات الدينية خسارة كبيرة تزيد عن الحد المألوف، ومن جملة العلوم التى حوربت، العلوم الفلسفية والحمية[٢]، وقد بدا ذلك منذ عهد الخليفة العباسى المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧هـ/ ٨٤٦ - ٨٦١م) الذى أصدر أوامره القاسية باضطهادهم[٣]، وتسبب ذلك فى الصاق تهمة الكفر الزندقة بالرياضيين، والفلاسفة، والمتكلمين، والمعتزلة، ونظائره، وكان ذلك فرصة لظهور الأشعرى والأشاعرة[٤].

وحل المفسرون والمحدثون والفقهاء والمتكلمون من الأشعرية خاصة فى العصر السلجوقى مكان الشخصيات البارزة فى الفلسفة والكيمياء، والطب، الرياضيات، وكان علم العلوم العقلية ممنوعا فى المدارس النظامية فى خراسان وغيرها، ولم يكن يدرس بها سوى العلوم الدينية والأدبية[٥]، إلى جانب ازدياد الصوفية فى العصر السلجوقى، التى خالفت كل العلوم واعتبرتها حجاب الحقيقة[٦]، كل ذلك أدى إلى أن قل رونق العلوم العقلية ورواجها، وقل اهتمام طلاب العلم بها.

---

(١) أحمد كمال الدين حلمى: السلاجقة، ص ٣٨٩.

(٢) أحمد كمال: نفسه.

(٣) أحمد أمين: ظهر الإسلام، ص ٤٣.

(٤) أحمد كمال: السلاجقة، ص ٣٨٩.

(٥) حسين أمين: المدرسة النظامية، ص ٢٣١.

(٦) أحمد كمال: السلاجقة، ص ٣٩٠.

وعلى الرغم من ذلك من لك جدت الكثير العلوم العقلية، وبرع فيها علما، إلا أنهم لم يكونوا بعدد وكثرة علماء العلوم النقلية، ومن أهم العلوم العقلية.

١ - علم الطب

عرف ابن أبى أصيبعة صناعة الطب[١] فيقول: أن صناعة الطب من أشرف الصنائع، وأربح البضائع، وقد ورد تفصيلها فى الكتب الآلهية والأوامر الشرعية، حيث جعل على الأبدان قريبا بعلم الأديان، قال رسول الله ﷺ: "لكل داء دواء [٢] وهذا حديث جامع للطب.

ويتجلى اهتمام المسلمون بنشر الثقافة الطيبة فى إنشاء البيمارستانات، إعداد المكتبات الطيبة، كما كانوا يعقدون المؤتمرات الطيبة فى مواسم الحج، حيث يعرض كل عالم نتائج بحثه، وأصبحت خراسان من أهم المركز الطيبة فى المشرق[٣].

وعلى الرغم من أن علما العصر السجلوقى لا لم يتقدموا تقدما ملحوظا فى الطب، ولم يتجاوزا ما أحرزه الأطباء السابقون على عهدهم، إلا أنهم تركوا لنا مؤلفات شهيرة فى الطب، كتبوا جانبا منها بالفارسية، وبذلوا خدمات جليلة لهذا العالم، عن طريق ضبط الكثير من المصطلحات الطبية بالفارسية المتداولة فى ذلك العصر وإثباتها وتسجيلها[٤]، ولقد كانت الحكومات فى العصر الإسلامى تمنح شهادات رسمية للأطباء مزاولة الطب[٥] وكان على من يريد مزاولة الطب أن يكون على علم بعدد من المؤلفات الطبية عددها النظامى العروض:

حيث ذكر عددا من هذه المؤلفات فى علم الطب فيقول[٦]:

وعلى الطبيب أن علم الطب على عدد من المؤلفات الطبية" مثل" الذخيرة

---

(١) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ج١، ص ٧.

(٢) صحيح مسلم، ح٧، حديث رقم ٩٦/ ٢٣٠٤، ص ٤٤٧.

(٣) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ح٤، ص ٥٢٣.

(٤) النظامى العوضى: ص ٨٥ - ٩٣، أحمد كمال الدين: السلاجقة، ص ٣٩٧.

(٥) على عبد الله الدفاع: أعلام العرب والمسلمين فى الطب، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٤٢.

(٦) النظامى العروضى: جهاز مقالة، المقالة الرابعة، ص ٧٦.

الخوارزمشاهية فى الطب"، وهى بالفارسية اثنى عشر مجلد ألفه زين الدين أبو إبراهيم إسماعيل بن حسن بن أحمد الحسنى الجرجانى المروزى المقيم بمرو حتى توفى بها سنة ٥٣١هـ/ ١١٣٦م[١].

ومن المصنفات الطبية للروزى كتاب "الأغراض فى الطب" فارسى فى مجلدان[٢]، وهو كتاب فى علم الطب باللغة الفارسية ألفه، ولخصه عن كتابه السابق، ورتبه على ست وعشرين مقاله فى كل منها أبواب كثيرة، أوله أما بعد حمد الله سبحانه وتعالى. .إلخ[٣] وله أيضا "كتاب فى الطب باللغة الفارسية[٤] وله كتاب "يادكار" فى الطب الفارسى فى مجلد واحد [٥]، وله "زبدة الطب" وهو مجلد يشتمل على حقائق الأبدان الظاهرة ودقائقها الباطنية[٦].

ويقول ياقوت الحموى عنه[٧]: كان عارفا بالطب جدا ألف فيه تصانيف حسنة مرغوب فيها باللغة العربية والفارسية، انتقل إلى خورازم وأقام بها، ثم عاد إلى مرو فأقام بها، وكان من أفراد زمانه، وتوفى بها سنة ٣٥١هـ/ ١١٣٦م.

ومن مشاهير الأطباء فى هذا العصر: أبو القاسم عبد الرحمن بن على بن أحمد بن أبى صادق النيسابورى، واكن طبيب فاضل بارع فى العلوم الحكمية، كثير الدراية للصناعة الطبية ت ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م، بعد أن ترك الكتب منها "تفسير منافع الأعضاء" لجالنيوس وشرح "المسائل فى الطب "لحنين، شرح فصول أبقراط" ويعد من أفضل الشروح[٨].

---

(١) النظامى العروض: جهاز مقالة، ص ٧٦.

(٢) ابن أبى أصبيعة: عيون الأنباء، ج٣، ص ٤٨.

(٣) حاجى خليفة: كشف الظنون، ج١، ص ١٣٠.

(٤) النظامى المعروضى: جهاز مقالة، حواشى المقالة الرابعة، حاشية ١٤، ص ١٦.

(٥) ابن أبى أصبيعة: عيون الأنباء، ج٣، ص ٤٨.

(٦) حاجى خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص ٦٥٢.

(٧) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج١، ص ٤٥.

(٨) ابن أبى أصبيعة: عيون الأنباء، ج١، ص ٣٢، ٣٣.

ومن مشاهير الأطباء فى العصر السلجوقى:

أبو سعيد محمد بن على المتطبب ت ٥٣٦هـ/ ١١٤١م، أقام ببلخ، وقضى عمره فى التصانيف الطبية، وله تصانيف كثيرة، ومن قوله فى بعض تصانيفه: إن التصانيف فى الصناعات الطبية مبسوطة ومختصرة، فلكل جامع نظم وترتيب مفرد، ولكل غرض صحيح ليس لسواه[١].

والطبيب على بن حمد الحجازى المقيم ببهيق، وكان طبيبا وقورا، فيه آداب الأطباء مجموعة، وله رسائل فى الطب والمعالجات، وقد صنف باسم السلطان السلجوقى سنجر ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م كتابا "مفاخر الأتراك" كما صنف لآتسز حاك خوارزم المتوفى ٥٥١هـ/ ١١٥٦كتابا فى "الحكمة"، وتوفى سنة ٥٤٦هـ/ ١١٥١م ومن تلاميذه عمر الخيام[٢].

ومن أطباء خراسان الذين مارسوا الطب أيضا" أبو على المروزى الحسن بن على بن محمد ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، وكان عالما بالطب وعلوم الأوائل، وغلب عليه اسم الطب، وصنف فيه، وكان له دكان بمرو يجلس فى للتطبب[٣].

ومن أطباء خراسان أيضا عمر الخيام تلميذ على بن محمد الحجازى الطبيب، وتمكن الخيام من علاج السلطان سنجر السلجوقى ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م، من الجدرى، إلا أنه لم يستمر فى مزاولة الطب لانشغاله بالعلوم الأخرى[٤].

ويتضح مما سبق أن نظرة الناس فى ذلك العصر إلى الأطباء كانت ملؤها الجلال والإكبار، إذ الطبيب حينذاك ينبغى أن يكون ملما بأصناف العلوم[٥]، كما أن أكثر علماء العصر، لم يكتفوا بترجمة الكتب السابقة وشروحها بل تخطوا إلى التأليف حيث تمكن الأطباء من التأليف أكثر من الترجمة[٦]، كما يتضح جليا أنه

---

(١) البيهقى: تاريخ حكما الإسلام، ص ١٨٩.

(٢) البيهقى: نفسه، ص ١٥٨.

(٣) السيوطى: بغية الوعاة، ج١، ص ٤٩٤.

(٤) النظامى العروضى: جهاز مقالة، ص ٨٧ك ٩٣، أحمد حامد الصراف: عمر الخيام فى الأدب الإيرانى، بغداد، ١٩٣٥م، ص ٦.

(٥) محبوبة: نظام الملك، ص ١٦٨.

(٦) محمد رجائى: صفحات من تاريخ الطب، ط١، نشر الزهراء للإعلان العربى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٩٨م، ص ٦٣.

كانت للحضارة الفارسية تأثيرها الواضح على الحضارة العربية، وبذلك تقترب هذه الحضارة من الحضارة العربية[١].

٢ - علم الكيمياء

هو علم ينظر فى المادة التى يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة، ويشرح العمل الذى يوصل إلى ذلك فيتصفون المكونات كلها بعد معرفة أمزجتها وقواها لعلهم يعثرون على المادة المستمدة لذلك حتى من الفضلات الحيوانية كالعظام والريش والشعر والبيض فضلا عن المعادن ثم يشرح الأعمال التى يخرج بها تلك المادة من القوة إلى الفعل[٢].

ويلخص هذا التعريف حاجى خليفة[٣] فيقول: هو علم يعرف به سلب الجواهر المعدنية وجلب خاصية جديدة لها.

هذا وقد أشار العالم أبو عبد الله بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمى المتوفى[٤] (٣٦٦هـ/ ١٩٧٦م) إلى أسماء بعض الأجهزة والأدوات والآلات الكيميائية التى استخدمها علماء العرب والمسلمين فى إقليم خراسان وغيرها من المدن والأقاليم الإسلامية فى علم الكيمياء ومن بين هذه الآلات:

الرابط: وهو الذى يفرغ فيه الجسد المذاب من فضة أو هب ويسمى المسبكة وهى من حديد، ومن آلاتهم بوط أبربوط: وهى بوطقة مثقوبة سمن أسلفها توضع على أخرى ويجوز الوصل بينهما بطين ثم يذاب الجسد فى البوطقة ويسمى هذا الفعل الاستنزال.

إن الحديث عن دور علماء الكيمياء، يكاد يكون معدوما وذلك لأن المصادر لتمدنا بمعلومات عن علماء خراسان فى هذا المجال.

---

(١) عامر النجار: فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية، ط٣، دائرة المعارف، ١٩٩٤م، ص ٨٠.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، مج٣، ص ١٩١.

(٣) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج ٢، ص ١٥٢٦.

(٤) الخوارزمى الكاتب: مفاتيح، ص ١٤٦ عمر فروخ: تاريخ العلوم، ص ٢٢٣.

ولقد أشارت المصادر إلى أن البيـرونى من رواء علم الكيمياء[١]، وله كتاب الجمـاهر فى معرفة الجـواهر يتضمن الكلام فى جـواهر وأنواعها وما يتـعلق بهذا المعنى[٢]. أوله الحمد لله رب العالمين الذى لما توحد بالأزل والبد[٣]، الخ. وقسم الكتاب إلى مقالتين الأولى فى الجواهر [٤] تحدث فيها عن الياقوت وأشباه اليواقيت منهـا والماس، والسنباذج الذى يعـاون الماس فى الصلابة والحل والحـلاء، واللؤلؤ والمرجان، والـزمرد وأصنافـه، والفيروز، والـعتيق، ومـا إلى ذلك من الأحـجار الكريمة ونصف الكريمة والكهرباء والمغناطيس[٥].

أما المقالة الثـانية فى الفلزات [٦]: فقد اسـتهلها بالزئبق ثم الذهب والفـضة والنحـاس والحـديد والأسرب، وتحـدث عن المركـبـات أو "الشـبه المـعمـولات والممزوجات بالصفة"، وينهى الفلزات بالأسفيزوى[٧] والبتروى[٨] والطاليقون[٩]. وبالكتاب ملحق لتبيان مناجم الجوار والفلزات[١٠].

---

(١) حنيفة الخطيب: الطب عند العرب، ص ٢٢٧.

(٢) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ج٣، ص ٣٠.

(٣) البيرونى: (أبى الريحـان محمد بن أحمد البيـرونى) ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م، الجماهر فى معرفة الجواهر، مكتبة المتنبى، القاهرة، بدون، ص١.

(٤) البيرونى: نفسه، ٣٢: ٢٢٨.

(٥) يمنى طريف الخولى: بحوث فى تاريخ العلوم عند العرب، ص ١٥١.

(٦) البيرونى: الجماهر فى معرفة الجواهر، ص ٢٢٨: ٢٦٧.

(٧) الأسفيزوى: اسم فارسى معناه النحاس الأبيض ويسـمى صفرا وذلك بالشبه أو لصفرته. البيرونى: الجماهر فى معرفة الجواهر، ص ٢٦٤.

(٨) البتـروى: نحاس كـسرت حـمرته بأسرب ألقـى عليه حتى اخـتلط ومنه تفـرع الهواوين والطناجير، وإذا كان الملقى عليه شبها عليه الصـفر ويسمى شبها مفرغا يعمل منه المنارات والمسارج. البيرونى نفسه، ص ٢٦٦.

(٩) الطاليقون: يقول البيرنى: يجئ ذكر الطاليقـون فى الكتاب من غير إيضاح، ولم أتحققه، ولكنى سمعـت أن العين تمرد وتفسد بالنظر فى مـرآه معمولة من الطاليـقون، وقيل: أنه جنس من النحاس إلا أن الأوائل نسبوه من الأدوية الحـادة السامة التى تضر باللحم والدم إذا خالطها. البيرونى/ نفسه، ص ٢٦٧.

(١٠) يمنى الخولى: بحوث فى تاريخ العلوم، ص ١٥١: ١٥٢.

ويمكن التعـرف على خصائص الطريقـة العلمية عند البـيرونى وموقـفه فى الكيمياء الهندية ومن علم الكيمياء بوجه عام من تحليل كتابة عن الهند[١].

وعلى أيه حال فإن البيروى الخـوارزمى كان اليد الطولى فى عصره فى تطور هذا العلم بما يخـدم علم الطب، وذلك من خـلال تجاربه الكيـميـائية، ودراسـته للفلزات، والأحـجار الكريـمة والأعـشاب والمركـبات، ممـا كان له الثـر فى علم الصيـدلة، هذا العلم الذى يبحث فى أصول الأدويـة من حيث تركيـبها ومعـرفة خواصها الكيميائية والطبيعية[٢]، وهو ما سوف نتحدث عنه فى علم الصيدلة.

٢ - علم الصيدلة

علم الصيدلة فرع من فروع الطب، وهو علم يبحث فيه عن تميز المتشابهات من أشكال النباتات من حـيث إنها صينيـة أو هندية أو رومية وعن مـعرفة زمـانها صيفـية أم خريفيـة وعن تميز جيدها عن الردئ، وعن مـعرفة خواصـها والغرض والفائدة منه ظاهر[٣].

وبذلك كان علم الصيدلة فى بادئ الأمر تابع لعلم الطـب، غير مستقل عنه إذا كـان الطبيب فى الـوقت صيـدلانيـا. وكان له أعـوان يسـاعدونه فى عـمله، فيجمعون له الأعـشاب الطبيعية[٤]، إلا أن الاهتمام الكبير الذى لقيه إحياء العلوم وتقدمها من الخلفاء العـباسيين، وما كان من تشجيعهم للقـائمين بها وبخاصة فى علوم الصيدلة والطب، وبلك تطور الصيدلة[٥].

إن الحديث عن دور علمـاء خراسان فى مـجال علم الصـيدلة، يكاد يكون معدوما، وذلك المصادر لم تمدنا بمعلومات عن علماء خراسان فى هذا المجال.

---

(١) مصطفى لبيب عبد الغنى: دراسات فى تاريخ العلم عند العرب، ص ٢٠٠.

(٢) توفيق الطويل: فى تراثنا العربى، ص ١١١.

(٣) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص ١٠٨٥.

(٤) حنيفة الخطيب: الطب عند العرب، ص ٢٢١.

(٥) عبـد العظيم حنفى صـابر، عبد الحليم مـنتصر: الموجـز فى تاريخ الطب والصيـدلة عند العرب، ج٢، موجز تاريخ الصيدلة، ص ٣١٤.

ولقد أشارت المصادر إلى أبى الريحان البيرونى محمد بن أحمد ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م، وله كتاب "الصيدلة فى الطب" استفضى فيه معرفة ما هيات الأدوية ومعرفة أسمائها واختلاف آراء المتقدمين، ومات تكلم كل واحد من الأطباء وغيرهم فيه، وقد رتبه على حروف العجم(١).

وقد ألفه فى أواخر حياته ويعتبر هذا الكتاب ذخيرة علمية ومرجعا هاما فى مجال الصيدلة(٢).

وكان أسلوب البيرونى الذى أتبعه فى تأليف كتابه بالنسبة لوصف عقار فى أن يقوم بدراسته تحت اسمه العربى، ثم يبحث مترادفاته فى اللغات الأخرى، ثم يقوم أخيرا بتحديده(٣).

وكان يوجد بخراسان بعض العقاقير التى توصف للمرضى مثل عقار كان ينبت بخراسان يسمى الطرثوث لعلاج المعدة، وكان يدخل فى تركيب الأدوية(٤).

وهكذا وجد الطب العربى فى الكيمياء والصيدلة غذاء، زاده حيوية وخصوبة وثراء(٥) ومن هذا يتضح أن تطور علم الكيمياء والصيدلة ساعد فى تطور علم الطب.

٤ - علوم الرياضيات:

وتشمل على ثلاثة علوم الأول الحساب والثانى الهندسة والثالث المثلثات.

أ - علم الحساب:

ويعرفه النظامى العروضى (١٦) الحساب صناعة يعرف بها أحوال أنواع

(١) ابن أبى أصبيعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ص ٣٠.
(٢) عبد العظيم حنفى صابر، وعبد الحلى منتصر: الموجز، ص ٤٠٢.
(٣) أحمد سعيد الدمرداش: سلسلة أعلام الإسلام(٢)، البيروى أبو الريحانى محمد بن أحمد، ص ٦١: ٦٢.
(٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان، ص ٢٦٠.
(٥) توفيق الطويل: فى تراثنا العربى الإسلامى، ص ١١٣.
(٦) جهاز مقالة: المقالة الثالثة، ص ٦٢، لمزيد من التفاصيل راجع ابن خلدون: المقدمة، مج٣، ص ٩٥، حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص ٥٧٨، فاطمة محبوب الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية، عدة مجلدات، دار الغد العربى، القاهرة، بدون، مج١٣، ص ٥٦٦ - ٥٦٧.

الأعداد وخصائص كل منها بذاته ونسبة العداد إلى بعضها وتوالدها ثم فروع الحساب من تصنيف وتضعيف وضرب وقسمة وجمع وتفريق وجبر ومقابلة.

فالجبر والمقابلة إذا "صناعة من صناعات الحساب وتدبير حسن لاستخراج السائل العويصة فى الوصايا والمواريث والمعاملات والمطارحات وسميت بهذا الاسم لما يقع فيها من جبر فى النقصانات والاستثناءات ومن المقابلة بالتشبيهات وإلقائها[1].

وأول من كتب فى هذا الفن محمد بن موسى الخوارزمى[2] المتوفى بعد سنة ٣٣٢هـ/ ٨٤٦م، وكان مقربًا من الخليفة المأمون ت ٢١٨هـ/ ٨٣٣م[3]، وألف كتابًا سماه «الجبر والمقابلة»[4]، ويرجع الفضل فى تسمية الجبر بهذا الاسم إلى هذا الرياضى الخوارزمى العظيم[5].

والدافع الأساسى وراء ابتكار الخوارزمى للجبر هو علم الميراث الذى أطلق عليه ابن خلدون[6]، علم الفرائض وعرفه بأنه "صناعة حسابية فى تصحيح السهام لذوى الفروض فى الوارثات إذا تعددت وهلك بعض الوارثين وانكسرت سهامه على وراثته أو زادت الفروض عند اجتماعها وتزاحمها على كله أو كان فى الفريضة إقرار وإنكار من بعض الورثة دون بعض".

ولذلك فقد ابتدع محمد بن موسى الخوارزمى طرقا جبرية لتسهيل هذا العمل فكتب كتابا مشهورا[7] باسم "الكتاب المختصر فى حساب الجبر والمقابلة"[8].

---

(١) الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص ١١٦.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، مج٣، ص ٩٨، عمر فروخ وآخرون: تاريخ العلوم عند العرب، ص ٤٨٧.

(٣) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج٤، ص ١٦٢، ١٦٣.

(٤) ابن القفطى: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ١٨٨.

(٥) عمر فروخ وآخرون: تاريخ العلوم عند العرب، ص ١٩٧.

(٦) ابن خلدون المقدمة، مج٣، ص ٩٩، حاجى خليفة كشف الظنون، مج٢، ص ١٢٤٤.

(٧) الدفاع: نوابغ علماء العرب والمسلمين فى علم الرياضيات، دار الاعتصام، بدون، ص٣٤.

(٨) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج٤، ص١٦٣.

لقد أشرنا إلى الخوارزمى الذى ظهر فى الفترات السابقة للعصر السلجوقى، لأن أعماله أصبحت مصدرا للمعرفة الرياضية فى الشرق والغرب لقرون عديدة[١]، لكن حقيقة الأمر أن الأبحاث والدراسات الرياضية للمسلمين نضجت نضوجا كبيرا فيما تلى ذلك من القرون عصر البيرونى ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م فهو من أبرز علماء ومفكرى الإسلام فى علم الرياضيات فى هذه الفترة[٢].

ومن علماء خراسان فى الحساب والجبر

محمد بن أحمد البيهقى ت ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، وله كتب فى الأعمال التى تتعلق بالحساب[٣].

عمر الخيام، وله رسالة فى شرح مشكلات الحساب من مصادرات كتاب إقليدس[٤]، ورسالة فى براهين الجبر والمقابلة مع خمسة ألواح للأشكال كتبها باللغة العربية[٥]، وتم ترجمتها إلى الفرنسية طبعت بباريس لأول مرة عام ١٨٥١م، وكان لها صداها الطيب فى نفوس المشتغلين بهذا العلم[٦].

وكانت دراسات الخيام فى علم الجبر أول محاولة ناجحة لحل المعادلات التكعيبية، وقد ميز منها ثلاث عشر معادلة، ولم يحلها حلا جبريا فحسب، بل حلا هندسيا أيضا[٧].

ب - علم الهندسة

هو صناعة يعرف بها أصول أوضاع الخطوط وأشكال السطوح المجسمات والنسبة الكلية بين المعايير وما يقدر بها هذه إلى الأوضاع والأشكال"[٨].

---

(١) الدفاع: نفسه، ص٣٤.

(٢) عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، ص٤٩١.

(٣) البيهقى: حكماء الإسلام، ص١٨٢.

(٤) أحمد كمال الدين حلمى: عمر الخيام، ص١٢٢.

(٥) حاجى خليفة: كشف الظنون، جـ٢، ص٥٨٤.

(٦) أحمد كمال الدين حلمى: المرجع السابق، ص١٢٢.

(٧) أحمد كمال الدين: نفسه.

(٨) النظامى العروضى: جهار مقاله، المقالة الثالثة، ص٦٢.

ويقول ابن خلدون[1] "هذا العلم هو الناظر فى المقـادير أما المتـصلة كالخط والسطح والجسم أو المنفصلة كـالأعداد وفيها يعرض لها من الـعوارض الذاتية مثل أن كل مثلث فزواياه مثل قائمتين ومثل أن كـل خطين متوازيين لا يلتقيان فى جهة ولو خرجا إلى غير نهاية، ومثل أن كل خطين متقاطعين فالزاويتان المتقابلتان منهما متساويتـان ومثل أن الأربعة المقادير المتناسبة ضرب الأول منهـا فى الثالث كضرب الثانى فى الرابع وأمثال ذلك".

وهذه الصناعـة تسمى باليـونانية "جـومطريا" وهى صناعـة المساحـة: وأما الهندسة فكلمة فارسية معربة وفى الفارسية "انذاره" أى المقادير[2].

وقد اهتم علمـاء المسلمين بالهندسـة اهتمامـا كبيـرا. والخطوة الأولى التى اتخذها علمـاء المسلمين هى ترجمـة كتاب إقليـدس فى علم الهندسة، وزاد على نظرياته، ويحتوى كتـاب إقليدس على خمس عشرة مقـالة، منها أربع مقالات فى السطوح الهندسـية، ومـقالة فى المقـادير المتناسـبة، وأخـرى فى نسب السطوح، وثلاث مقالات فى العدد والتمثيل الـهندسى، وخمس مقالات فى المجسمات[3]. ونقل كتاب إقليدس لأول مرة إلى اللغة العربية فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٧هـ/ ٧٥٤ - ٧٧٥م)، وهو أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم، وأول خليـفة ترجمت له الكتـب السريانية واليـونانية والأعجمـية بالعربية[4].

وتطور علم الهندسـة عن طريق هذه التـرجمـات إلى العربيـة، كمـا زادت مؤلفاتهم الهندسـية، وخاصة فى بداية العصر السلجوقى علـى يد الرياضى الشهير البيرونى وسوف نعرض مؤلفاته.

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، مج٣، ص١٠١.

(٢) الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص١١٧.

(٣) عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم ودور العلمـاء العرب فى تقدمه، ص٦٧، الدفاع: نوابغ علماء العرب والمسلمين فى الرياضيات، ص٥٣.

(٤) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص٣١٩.

ومن علماء الهندسة

محمد بن أحمد المعمروى البيهقى ت ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، وله كتاب المخروطات فى الهندسة[١]. والحكيم أبو الفتح عبد الرحمن الخازن، وحصل علوم الهندسة، وكمل فيها، وكان معاصرا للسلطان سنجر، ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م، وكان نقى الجيب عن الأطماع الخسيسة، وبعث إليه السلطان سنجر ألف دينار، فردها إليه وقال: لا أحتاج إليها، ويكفينى كل سنة ثلاثة دنانير[٢].

ومن العارفين بالهندسية أيضا أبو مضر محمود الضبى الأصفهانى، وكان عالما، عارفا بالهندسة وتوفى بمرو سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م[٣].

ج - علم المثلثات:

ارتبط علم المثلثات لدى اليونانيين بعلم الفلك، كما قطع الهنود شوطا طويلا فى هذا العلم خاصة فيما يتعلق بقياس جيب زاوية المثلث[٤]. غير أنه يرجع الفضل فى وضع علم حساب المثلثات بطريقة منتظمة ومستقلة عن علم الفلك إلى بعض علماء العرب، وبفضلهم اعتبر علم المثلثات علما عربيا[٥]. هذه الطريقة المنتظمة كان لها أكبر الأثر فى تطور العلوم الرياضة بصفة عامة.

والفكرة الأساسية فى علم حساب المثلثات هى قياس المساحات الكبيرة والمساقط الطويلة بطريقة غير مباشرة، وكلمة علم حساب المثلثات فى جميع اللغات تعنى قياس الارتفاعات[٦].

وبصفة عامة لقد تطورت العلوم الرياضية وتقدمت على أيدى العلماء المسلمين حتى جاء عصر البيرونى. وسوف نذكر كل مؤلفاته التى حصلنا عليها من المصادر فى علم الرياضيات، حيث شهد له العلماء فى أنواع الرياضيات والذى

---

(١) البغدادى: هدية العارفين، جـ٢، ص٧٧.

(٢) البيهقى: حكماء الإسلام، ص١٨١.

(٣) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، جـ٥، ص٤٨٧.

(٤) رشاد معتوق: الحياة العلمية فى العراق فى العصر البويهى: ص٣٧٢.

(٥) عبد الحليم منتصر: تاريخ العلم، ص٦٩.

(٦) الدفاع: نوابغ علماء العرب والمسلمين فى علم الرياضيات، ص٤٦.

كان موضع احـترام من قبل ملوك العصر والعـصور اللاحقة، كما كـانت موضوع تقدير لعلماء خراسان ففى العصر السلوجوقى.

وأهم هذه المؤلفات:

كتاب فى "الحساب" وشرح فيها الأرقام الهندسية شرحا وافيا، وهى الأرقام التى اتخذت أساسا للأرقام العربية[١].

كتـاب "القانون المسـعودى" المترجم، وهو كـتاب يغطى على أثر كل كـتاب صنف فى تنجيم أو حساب[٢] ويحدثنا البيرونى فى مقدمة المقالة الثالثة من القانون المسعودى قائلا.

"أن الصناعة إذا أريد إخـراجها إلـى الفعل بمزاولة الحسـاب فيهـا والأعداد المفتـقرة إلى معرفـة أوتار الدوائر، ولذلك سمى أهلها كتـبها العلميـة زيجات من الزيق الذى هو بالفارسية زه بمعنى الوتر، وسـموا أنصاف الأوتار جيوبا، وأن اسم الوتر بالهندية جـيبا، ونصـفه جـيبارد، ولكن الهنـود لم يستعلمـوا غيـر أنصاف الأوتار، وأوقعوا اسم لكل على النصف تخفيفا فى اللفظ[٣]."

لذلك وجـدنا البيـرونى يهتم بالمسـائل المتعلقـة بجيب الـزوايا وتقسـيمـها واستخدام النسب المثلثية وإيجاد قيم لجيوب الزوايا المطلوبة[٤].

كذلك أمكن البيرونى أن يقسم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية[٥]، وله أيضا رسالة بحث فيها بعض المحاولات لتقسيم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية[٦].

كان البـيرونى الخـوارزمى ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، أول عالم رياضى فى الـتاريخ يستعمل النسب المثلثية، وفى مجال الهـندسة نجد البيرونى يعالج الأشكال الهندسية

---

(١) مصطفى لبيب عبد الغنى: دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب، ص١٩٨.

(٢) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ص١٢٦.

(٣) أحمـد سعيد الدمـرداش: سلسلة أعلام الإسلام (٢)، البـيرونى أبو الريحان محـمد بن أحمد، ص١٣٠، عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، ص٤٩١.

(٤) عمر فروخ: المصدر السابق، ص٤٩٢.

(٥) عمرو فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، ص٤٩٣.

(٦) الدفاع: نوابغ علماء العرب والمسلمين فى علم الرياضيات، ص١٧٦.

المنتظمة، ويوجد أطوال الأضلاع عن طريق حل المعادلات الدرجة الثانية والثالثة[١]. ووضع فى الهندسة حلولا لنظريات سميت فيما بعد باسمه[٢].

ويدين علم حساب المثلثات Trigonometry بوجوده لرياضى العرب، فهم أول من أقامه علما مستقلا عن علم الفلك، بعد أن كان مجرد معلومات تخدم الفلك وأرصاده. وبفضل قوانين هذا العلم تقدمت بحوث الهندسة والمساحة والطبيعة. ولعل البيرونى هو أول رواد هذا الفرع من الرياضيات، فقد وضع التحليلات المثلثية الزوايا مكان المربعة الزوايا لبطليموس، وأدخل خطوط التماس، ووضع النسب الحسابية المثلثية على النحو الذى تعرف به اليوم[٣]. ومن خلال علم حساب المثلثات استطاع إيجاد وتر العشر فى الدائرة بعد أن توصل إلى المعادلة التالية:

وتر العشر= $\sqrt{\text{نق}^{٢} + ١/ ٤\text{نق} - \text{نق}/ ٢}$

وبافتراض نق= ١

العشر $\sqrt{\frac{٥-١}{١}}$ = ٠,٦١٨٣

، وتر العشر يقابل زاوية ٣٦°

نصف وتر العشر يقابل ١٨°

وبما أنه يساوى ٠.٣٠٩١٥٠

فإن جيب ١٨°= ٠.٣٠٩١٥٠ بالحساب المذكور[٤]

هكذا كان العلماء المسلمين، من مؤسسى علم الرياضيات خلال العصور السابقة، ثم كان لهم تأثير فى تطور هذه العلوم فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى.

---

(١) فروخ: المصدر السابق، ص٤٩٣.

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة (عصر الإيمان) مج٧، ج١٣، ص١٦٨.

(٣) توفيق الطويل: فى تراثنا العربى الإسلامى، ص٢٣٩.

(٤) أحمد سعيد الدمرداش: البيرونى، ص١٣٨.

٥ - علم الفلك والتنجيم

أطلق بن يوسف الخوارزمى[١] على علم الفلك اسم "علم الهيئة" وعرفه بأنه" معرفة" تراكيب الأفلاك وهيئتها وهيئة الأرض.

ارتبط علم الفلك والتقويم بواقعهم المعاشى الاقتصادى والاجتماعى والدينى[٢]، كما أنه لشغفهم الشديد بمراقبة النجوم والشمس والقمر وحركتهم، مما أدى إلى تقدم علم الفلك[٣].

ومما يدل على اهتمام الإسلام والمسلمين بمسألة النجوم والشمس والكواكب والفلك والتقويم، ما ورد فى القرآن الكريم مثل قوله تعالى"هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا إن فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والأرض لآيات لقوم يتقون"[٤].

كل ذلك أدى إلى اهتمام علماء المسلمين فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى، إلى دراسة علم الفلك حرصا منهم على فهم الآيات القرآنية، وأظهر علماء المسلمين بتشجيع من الخلفاء والسلاطين والوزراء عنايتهم بهذه العلوم، بإقامة المراصد، وتأليف المصنفات الفلكية التى انتشرت فى البلاد الإسلامية[٥].

أما علم التنجيم"النجوم" فيعرفه حاجى خليفة[٦]: "هو علم يعرف به الاستدلال إلى حوادث عالم الكون والفساد بالتشكيلات الفلكية، وهى أوضاع الأفلاك والكواكب، كالمقارنة، والمقابلة، والتثليث، والتسديس، والتربيع، إلى غير ذلك".

---

(١) مفاتيح العلوم: ص١٢٥، للمزيد راجع ابن خلدون: المقدمة، جـ٣، ص١٠٥.

(٢) عمر فروخ وآخرون: تاريخ العلوم عند العرب، ص٢٣٤.

(٣) على عبد الله الرافع: أثر علماء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥، ص٢٧.

(٤) سورة يونس: الآية ٥، ٦

(٥) عمر فروخ وآخرون: تاريخ العلوم، ص٢٣٦، الدفاع: أثر علماء العرب، ص١٦

(٦) كشف الظنون، جـ٢، ض١٩٣٠.

قال تعالى "هو الذى جعل لكم النجوم. . . . . يعلمون"[1]. ومن هذه الآية الكريمة ما يدل على أثر النجوم للاستدلال على الطرق برا وبحرا.

أطلق النظامى العروضى: على هذا العلم "علم الأحكام" وعرفه على أنه علم من فروع العلم الطبيعى وأساسه التخمين، والمقصود به الاستدلال من أشكال الكواكب بقياس بعضها إلى بعض، ومقياس الدرج والبروج، على مجرى الحوادث التى تفيض عن حركتها، من أحوال أدوار العالم، والملك والممالك، والبلدان، والمواليد، والتحاويل، والتسايير، والاختيارات، والمسائل[2].

وأشتهر فى علم الفلك من العلماء المسلمين فى بداية العصر السلجوقى أبو الريحان البيرونى المتوفى ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، الذى لم يعرف أحذق منه فى علم الفلك، وقد شهد له العلماء فى هذا العلم[3]، كما عرف بأنه إمام وقته فى علم النجوم، فقد تكسب البيرونى عيشه من عمله كمنجم[4]، وله الكثير من التصانيف فى علم الفلك والتنجيم، هذه المصنفات أطلع عليها علماء خراسان وغيرها للإفادة منها فى هذا العلم، ومن أهم مؤلفاته "التفهيم فى صناعة التنجيم"[5]، وكتاب "مقاليد الهيئة"[6] وغيرها.

وكان لمؤلفات البيرونى ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، أكبر الأثر فى تطور هذا العلم فى العصر السلجوقى، مما يدل على أن البيرونى كان أحد أهم ممثلى هذا العلم الذى ازدهر وانتشر ظلاله فى ربوع الدنيا فى عصره، والعصور اللاحقة[7].

---

(١) سورة الأنعام: الآية٩٧.

(٢) جهار مقالة: المقالة الثالثة، ص٦٢، ٦٣.

(٣) محبوبة: نظام الملك، ص١٦٧.

(٤) يمنى ظريف الخولى: بحوث فى تاريخ العلوم عند العرب، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ١٩٩٨م ص١٧٦.

(٥) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء، جـ٣، ص٣٠، النظامى العروضى: جهار مقالة، ص٦٢.

(٦) ابن أبى أصيبعة، نفسه، جـ٣، ص٣٠.

(٧) آنامارى يشمل: الإسلام دين الإنسانية، ترجمة وتعليق د/ صلاح عبد العزيز محبوب، راجعه د/ محمود فهمى حجازى، ط٢، العدد٩٥، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سلسلة تصدر كل شهر عربى، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٩٩.

ومن الفلكيين الذين عاشوا فى العصر السلجوقى: عمر الخيام، وله مصنفات فى هذا العلم، منها "بعض الجداول الفلكية فى النجوم"[١].

ومنهم أيضا، أبو المظفر بن عبد الله النيسابورى ت ٥٦٠هـ/ المشهور بالفلكى، نسبة إلى تجره فى علم الفلك[٢].

ولقد ارتبط علم الفلك والتنجيم بالعلوم الدينية، فقد كان أكثر علماء المسلمين يرون ضرورة الاشتغال به لخدمة الدين، ومنهم المفسر والفقيه والمتكلم، فخر الدين الرازى المعمر ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م، نزيل هراة، وكان إلى جانب اهتماماته بالعلوم الشرعية يهتم أيضا بعلم الفلك وغيره من العلوم العقلية، ومن مصنفات هذا العلم الأحكام العلائية فى التأثيرات السماوية[٣]، وهو كتاب فارسى مختصر فى الأخبار النجومية، ومرتبة على مقالتين الأولى فى الكليات المثالية والثانية فى الجزيئات[٤].

ومن أشهر المنجمين فى العصر السلجوقى "عمر الخيام ت ٥٢٦هـ/ ١١٣١م"، وكان السلطان ملكشاه ت ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م شديد الولع بعلم النجوم، وكان يسير وفق ما يشير به علماؤه، وكان لا يخرج لصيد أو حرب دون استطلاع رأى عمر الخيام عن طالع يومه، ومن هذا كان اهتمامه ورعايته للخيام، ومصاحبته له غدوه ورواحة، وفى صيده، ولهوه، وحروبه[٥].

يعتبر الخيام من أشهر منجمى خراسان فى العصر السلجوقى، حيث تقدم على يديه علم الفلك والرياضة فى العصر السلجوقى، ويدل على ذلك "الزيج الجلالى" - التقويم السنوى الذى وضع فى عهد ملكشاه، وبناء على توصية نظام

---

(١) أحمد كمال الدين حلمى: عمر الخيام، ص١٣٣.

(٢) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، جـ٣، ص٥٦، ابن العلماء الحنبلى: شذرات الذهب، حـ٤، ص١٨٨.

(٣) ابن القفطى: أخبار العلماء، ص١٩٢.

(٤) حاجى خليفة: كشف الظنون، جـ١، ص١٩.

(٥) النظامى العروضى: جهار مقالة، ص٦٩.

الملك، وتحت إشرافه، حينما جمع مشاهير منجمى عصره لوضعه[١]، والذى قال فيه النظامى العروضى: "أنه عدم القرين فى علم النجوم والحكم عليه"[٢].

ولم يبلغ أى أحد من المنجمين فى ذلك العصر ما بلغه الخيام، وكان يعظمه أيضا شمس الملوك حاكم بخارى، غاية التعظيم ويجلسه على سريره[٣]، وروى النظامى العروضى[٤]: "أن عمر الخيام ومظفر الاسفزازى" نزلا دار الأمير أبى سعيد فى مدينة بلخ سنة ٥٠٦هـ/ ١١١٢م، وكان النظامى العروضى متصلا بهذا الأمير، فسمع عمر الخيام يقول فى أثناء مجلس السمر "سيكون قبرى فى موضع تؤرجه ريح الشمال بشذى الورد كل ربيع" وأضاف العروضى أنه لما زار نيسابور سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٧م، وقد مرت أربع سنوات على وفاة الخيام ذهب لزيارة قبر أستاذه يوم جمعة، فرأى قبره أسفل جدار بستانى، قد أطلت منه أشجار الكمثرى والمشمش، وقد تناثر على القبر كثير من الزهر حتى غطاه.

وعلى الرغم مما بلغه الخيام من شأن فى علم النجوم، لم يعتقد فى أحكامها قط [٥]، وكان ذلك سبب سيطرة العقيدة الدينية على الناس آنذاك، إذ ورد فى الأثر الشريف "كذب المنجمون ولو صدقوا"، ولقد علق النظامى العروضى[٦] نفسه على أحكام النجوم بقوله "أنه برغم انتشارها لا يجوز الاعتماد عليها، ولا ينبغى للمنجم أن يمعن فيها، بل عليه أن يحيل كل حكم يراه على القضاء والقدر".

ومن الفلكيين أيضا محمد بن أحمد بن بشر المروزى وله من الكتب "تبصرة فى الهيئة"، "منتهى الإدراك فى تفسير الأفلاك"[٧].

---

(١) القزوينى: آثار البلاد، ص٣١٨.
(٢) جهار مقالة، ص٦٩، ٧٠.
(٣) النظامى: نفسه، ص١٥٦، ١٥٧.
(٤) النظامى، نفسه، ص٦٩، ٧٠
(٥) حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، جـ٤، ٥٢٧
(٦) جهار مقالة، ص٧٠.
(٧) البغدادى: هدية العارفين، جـ٢، ص٨٨.

٦ - الفلسفة وعلم الكلام

الفلسفة مشتقة من كلمة يونانية وهى فيلاسوفيا، وتفسيرها محبة الحكمة، فلما عربت قيل فيلسوف ثم اشتقت الفلسفة منه[١].

ولقد قرأ المسلمون الفلسفة فى الكتب اليونانية، وأضافوا إليها أرائهم[٢]، مما نتج عنه تكوين الفكر الإسلامى[٣]، كما جاءت أفكار الهند إلى بلاد الإسلام عن طريق غزنة وفارس[٤].

وهكذا انتقل التراث الفلسفى اليونانى إلى المسلمين[٥]، فبعد أن قرأ المسلمون كتب الفلسفة، عمدوا إلى الكتابة إلى تلك الموضوعات من عند أنفسهم، ويندر أن يشتغل العالم منهم فى الفلسفة دون الطب والنجوم، أو فى الطب دون الفلسفة والنجوم، أو بالعكس[٦].

ومن أكبر فلاسفة المسلمين وأشهرهم فى العصر السلجوقى الغزال ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م، الذى يعد من أشهر فلاسفة الإسلام، وكان مصلحا دينيا واجتماعيا، وألف كتاب "المنقذ من الضلال" لهذا العرض، ويكفى كتابة "تهافت الفلاسفة" للرد على فلاسفة عصره[٧].

---

(١) الخوارزمى: مفاتيح العلوم، ص٧٩، عبد الحليم محمود: التفكير الفلسفى فى الإسلام، ط٢، دار المعارف، القاهرة، بدون، ص١٦٣.

(٢) جرجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى، جـ٣، ص١٩٦.

(٣) جوزيف شاخب، كليفورد د.أ. بز زورث: تراث الإسلام، ترجمة محمد زهير السمهورى، حسين مؤنس، إحسان صدقى العمدة، تعليق وتحقيق شاكر مصطفى، مراجعة فؤاد زكريا، ط٢، مكتبة عالم المعرفة الكويت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، جـ٢، ص٦٧.

(٤) ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة د/ ذكى نجيب محمود، محمد بدران، عبد الحميد يونس، فؤاد أندراواسى، محمد على أبو درة، ٢٢ مجلد فى ٤٢ جزء، مكتبة الأسرة، ٢٠٠١م، عصر الإيمان، ترجمة محمد بدران، جـ١٣، ص١٩٧.

(٥) محمد محمود أبو قحف: الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام ومدارسه، المكتبة القومية الحديثة، طنطا، ١٩٣٣م، ص٣٧.

(٦) جرجى زيدان: تاريخ التمدن، جـ٣، ص١٩٦.

(٧) محمد عبد العظيم: نظم الحكم، ص٥٥٢.

٧ - علم التاريخ

كان علم التاريخ جزءا من التطور الفكرى فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى، والتاريخ فى اللغة "الإعلام بالوقت يقال أرخت الكتاب وورخته أى بينت وقت كتابته"(١).

ويقول ابن خلدون "اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب حجم الفائدة إذ يقفنا على أحوال الماضين من الأمم فى أخلاقهم، والأنبياء فى سيرهم والملوك فى دولتهم وسياستهم"(٢). ولفظ "التأريخ، تعريب لكلمة "ماه روز" الفارسية، ومعناها حسب الأيام والشهور، فقالوا مؤرخ وجعلوا مصدره التأريخ (٣)، وتوحى لفظه "ماه روز" بأن المراد منها تعيين بدء الشهر القمرى"(٤).

إن الغرض من دراسة التاريخ هو معرفة الوقائع البشرية والأحداث التاريخية والظروف التى حدثت فيها، وأسبابها على وجه الحقيقة، والفكر التاريخى لكى يتطور، يتطلب اتباع منهج النقد والتحليل، غير أن الكتابة التاريخية لا تخلو عادة من الغرض، أو الوقوع تحت تأثير المؤثرات الدينية كانت أو الشخصية، أو السياسية، غير أن ذلك يجرى بدرجات متفاوتة، تخضع لمدى وضوح الهدف، وقوة وضوح شخصية الباحث، وقدرته على الالتزام بموقف الحياء(٥).

ذخر العصر السلجوقى بطائفة من كبار مؤرخى خراسان، الذين أمدونا بمعلومات وفيرة عن مدن خراسان، وعن العصر السلجوقى ومن أشهرهم.

- أبى بكر البيهقى ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م، وله "جامع التاريخ"(٦).

---

(١) السخاوى محمد عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ط١، دار الجبل، بيروت، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص٦.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، جـ١، ص٨، للمزيد راجع حاجى خليفة: كشف الظنون، جـ١، ص٢٣١.

(٣) البيرونى: أبو الريحانى محمد بن أحمد ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م، الآثار الباقية عن القرون الخالية، مكتبة المثنى، القاهرة، بدون، ص٢٩.

(٤) السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخين العرب، نشر مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص١٨.

(٥) مريزن عسيرى: الحياة العلمية فى العراق، ص٤٣٠.

(٦) البغدادى: هدية العارفين، جـ١، ص٧٨.

- محمد بن حسين بن عبد الله الروذراوى ت٤٨٨هـ/ ١٠٩٦م، وله كتاب "ذيل تجارب الأمم"[١].

- أبى يوسف يعقوب الأسفراينى ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٦م، وصنف "سير الخلافة"[٢].

ولقد جمع كثير من أئمة وعلماء المسلمين بين علمى الحديث والتاريخ، حيث كان أكثر علماء المسلمين يرون ضرورة الاشتغال به لخدمة الغرض الدينى حتى يصبح علم التاريخ على هذا النحو، وسيلة لفهم الفقه والشريعة والوقوف على أصول رواة الحديث، وتواريخ شيوخه، ومن هؤلاء العلماء الإمام الحافظ، محدث هراة ومؤرخها.

الحاكم عبد الله الحسين بن محمد الكتبى الهروى، المؤرخ الحافظ، وكانت له عناية تامة بالتواريخ لخدمة الحديث، وتوفى سنة ٤٩٤هـ/ ١١٠١م[٣].

كما جمع كثير من الأدباء بين الأدب والتاريخ، منهم الحسن بن المظفر النيابورى ت ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م، وألف كتاب "تاريخ زيادات أخبار خوارزم"[٤].

الأديب والشاعر أبو مظفر الأبيوردى ت ٥٠٧هـ/ ١١١٤م، وكانت له معرفة حسنة باللغة والنسب، ولذلك أطلق عليه اللغوى الشاعر الأخبارى النسابة، صاحب التصانيف والبلاغة والفصاحة، ومن مؤلفاته التاريخية "تاريخ أبيوردونسا"، "والمختلف والمؤتلف فى أنساب العرب"، وغير ذلك"[٥].

والأديب محمود بن مسعود البلخى الأديب المؤرخ ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، وله "زينة الزمان فى التاريخ"[٦].

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم، جـ٩، ص٩٠، وما بعدها.

(٢) حاجى خليفة: كشف الظنون، جـ٣، ص١٠١٣.

(٣) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، جـ٢، ص٤٥٨، ٤٥٩.

(٤) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، جـ٣، ص٩٥.

(٥) ابن الجوزى: التنظيم، جـ٩، ص١٧٦، ١٧٧، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٤، ص٢٠: ١٨

(٦) البغدادى: هدية العارفين، جـ٢، ص٤٠٣.

أبى نصر المروزى، محمد بن محمد ت ٥٢٩هـ/١١٣٦م، وله "أخبار العلماء"، وهو كتاب يتحدث فيه عن أخبار العلماء وتواريخهم[١].

وممن جمع بين الفقه والتاريخ محمد بن عبد الملك بن إبراهيم الفقيه الشافعى ت ٥٢١هـ/١١٢٨م، صنف "تاريخ هراة، وذيل على، ذيل تجارب الأمم" لأبى شجاع المتوفى ٤٨٨هـ/١٠٩٥[٢].

ومن علماء التاريخ الذين لهم عناية خاصة بتواريخ المدن أبى روح بن عيسى الهروى ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م، مصنف "تواريخ هراة"[٣].

أبى محمد بن عبد الجبار الخرقى ت ٥٥٣هـ/١١٥٨م وصنف "تواريخ مرو"[٤].

أبى الحسن عبد الغافر ت ٥٢٩/١١٣٦م، له تتمة تاريخ نيسابور "سياق التاريخ"[٥].

وعلى بن أبى صالح الخوارى البيهقى، وكان حيا فى ٥٢٦هـ/١١٣٣م، وله "تاريخ بيهق"، وهو فى عدة أجزاء[٦].

ومن العلماء الذين جمعوا الفقه والحديث والتاريخ، السمعانى ت ٥٦٢هـ/١١٦٦م، ويعد من علماء الأنساب، وله مؤلف مهم هو "الأنساب"، وذيل على "تاريخ بغداد" وله "تاريخ مرو"[٧].

وأبى الحسن على بن زيد البيهقى ت ٥٦٥هـ/١٠٦٩م، وصنف" تاريخ بيهق"[٨].

---

(١) حاجى خليفة: كشف الظنون، جـ١، ص٢٧.
(٢) البغدادى: هدية العارفين، جـ٢، ص٨٥.
(٣) حاجى خليفة: كشف الظنون، جـ١، ص٣٩.
(٤) البيهقى: حكماء الإسلام، ص١٧٣، حاجى خليفة: كشف الظنون، جـ١، ص٣٠٣ وقد ذكر البيهقى وفاته ٥٣٣هـ/١١٣٨م
(٥) البيهقى: تاريخ بيهق، ص٨.
(٦) البيهقى: تاريخ بيهق، ص٩.
(٧) ابن كثير: البداية والنهاية، جـ١٢، ص٢٧٤، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، جـ٤، ص١٩، ٢٠.
(٨) حاجى خليفة: كشف الظنون، جـ١، ص٢٨٩.

٨ - علم الجغرافيا

تجمع قواميس اللغة عل اختلافها بأن الجغرافيا هى العلم المختص بدراسة سطح الأرض[١]. ولقد نشأ الفكر الجغرافى نشأة عفوية تلقائية، لكى يجنب الإنسان التخبط فى المكان، أو لكى يرشد التعايش فى المكان[٢].

تطور الفكر الجغرافى فى العصر السلجوقى، وكان أول من ساهم فى هذا التطور الجغرافى البيرونى ت ٤٤٠هـ/١٠٤٨م، حيث بحث فى الجغرافية الفلكية من خلال كتابه "القانون المسعودى"،[٣] كما بحث فى الجغرافية الإقليمية والدراسات التى توصل إليها واضحة جلية فى كتابه "تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن[٤]"، كما أعطى للمد الإسلامية وصفا دقيقا تاريخيا وجغرافيا فى كتابه تحقيق ماللهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة"[٥].

ومن علماء خراسان الرحالة الذين ألفوا فى الجغرافيا ناصر خسر وعلوى القباذيانى ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م الرحالة، وتحدث عن بلاد خراسان ابتداء من رحلته عندما خرج من مرو[٦].

كما اشتهرت المعاجم الجغرافية فى العالم الإسلامى، وتناولت بعض الكتب أنماطا من التصنيف المعجمى الجغرافى، وأشهرها المعجم الجغرافى ذو الشهرة الواسعة "معجم البلدان" لمؤلفه ياقوت الحموى ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م والذى كانت

---

(١) طه عثمان الفرا ومحمد محمود حمدين: المدخل إلى علم الجغرافيا، ط٢، نشر دار المريخ، طبعة الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ص٤.

(٢) صلاح الدين على الشامى: الفكر الجغرافى سيرة وعسيرة، نشر منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٠م، ص١٧.

(٣) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، جـ٥، ص١٢٦.

(٤) البغدادى: هدية العارفين، جـ٢، ص٦٥.

(٥) النظامى العروضى: جهار مقالة، حواشى المقالة الثانية، حاشية(١)، ص١٤٧، أحمد سعيد الدمرداش: البيرونى أبو الريحانى محمد بن أحمد، سلسلة أعلام الإسلام، ص١٣٠.

(٦) القباذيانى: ناصر خسر وعلوى ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م، سفرنامة، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٣٣م، ص٨.

له الرحلة إلى خراسان، وطاف فى بلادها، وتحدث عنها فى معجمه الضخم، يعد هذا المع المختلفة كل ذلك فى ترتيب هجائى، ويعتبر هذا المعجم أفضل مصنف من نوعه لمؤلف مسلم فى العصور الوسطى[1].

هكذا شهد إقليم خراسان فى العصر السلجوقى، كثيرا من العلماء والأدباء فى مختلف العلوم، ساهموا بجهدهم وفكرهم وإنتاجهم العلمى والأدبى فى حماية اللغة العربية والإسلام، مما أدى إلى تطور الحضارة الإسلامية، ونتاجهم العلمى والأدبى شاهدا على هذا التطور الذى حدث فى هذا الإقليم فى ذلك العصر.

* * * * * * *

(١) عثمان الفرا: المدخل، ص٢٥.

الخاتمة

بعدما سبق عرضه على امتداد صفحات هذا البحث، نستطيع أن نستخلص عدة نتائج هامة تتعلق بتطور الحياة الفكرية فى إقليم خراسان فى العصر السلجوقى.

- لقد لعب إقليم خراسان دورا بارزا فى تطور الحياة الفكرية، فقد كانت مدن خراسان عواصم للدولة السلجوقية، فأصبحت بذلك مراكز رئيسية للإشعاع الفكرى، كما كانت خراسان منارا للعلم ومقرا للعلماء على اختلاف تخصصاتهم العلمية، حيث انتشرت المؤسسات العلمية، وشملت مدن وقرى إقليم خراسان كافة، فخرج منه علماء كان لهم تأثير فى كافة الأقاليم الإسلامية بما نشروه من علم وفكر خلال العصر السلجوقى.

- لعب سلاطين السلاجقة ووزرائهم دورا بارزا فى تطور الحياة الفكرية، من خلال اهتمامهم بالعلم والعلماء، وبناء المؤسسات العلمية، مما أدى إلى نشاط العلم والتعليم، وازدهار العلوم وضخامة الإنتاج العلمى والأدبى.

- كما كان سلاطين السلاجقة أنفسهم، يدرسون الفقه على مذهب الإمام أبى حنيفة، بينما كان معظم وزرائهم على المذهب الشافعى، فقد كان السلاطين يقومون ببناء المدارس والمساجد لتدريس مذهب أبى حنيفة، فى نفس الوقت الذى يقوم الوزراء ببناء مدارس لأصحاب مذهب الإمام الشافعى، مثل السلطان ملكشاه وألب أرسلان، ووزيرهما نظام الملك، ولقد أدى هذا الاختلاف فى المذهب فى إقليم خراسان إلى نشاط علمى وفكرى كبيرين تمثل فى نشر هذه المذاهب وتدريسها، والتأليف فيها لمذهب معين كالشافعية والحنفية، كما أصبحت هناك مؤلفات شيعية ومعتزلية وغيره من هذه الفرق والمذاهب.

كان للرحلات العلمية من إقليم خراسان وإليه لإلقاء العلم وإلقاء أو تلقيه أثر مباشر فى تطور الحياة الفكرية، كما كانت للكتب التى دخلت إلى خراسان أثرها البالغ فى نشاط الحركة الفكرية، مثل كتب البيرونى ت ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨ فى الرياضيات والكيمياء والصيدلة، هذه المؤلفات التى اعتمد عليها علماء خراسان والبلدان الإسلامية فى الشرح والتوضيح والتلخيص والتأليف.

- كان للمؤسسات العلمية وخاصة المدارس دورا بارزا فى تطور الحياة الفكرية، فقد قام الوزير نظام الملك ت ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، ببناء المدارس النظامية للتدريس على مذهب الإمام الشافعى، مما أدى إلى قيام علماء الحنفية ببناء المدارس لتدريس مذهبهم وأصوله، فانتشرت المؤلفات على مذهب الشافعى ومناقبه، جنبا إلى جنب مع مؤلفات علماء الحنفية، وفى عهد السلطان سنجر ت ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م، اهتم ببناء المؤسسات العلمية لأصحاب المذهب الحنفى، فقام علماء الشافعية ببناء المدارس لتدريس مذهبهم وأصوله.

- كل هذا أدى إلى نزاع فكرى طوال العصر السلجوقى نتج عنه نشاط فكرى أثرى الحياة العلمية بهذه المؤلفات الضخمة، فانتشرت المؤلفات العلمية وخاصة فى العلوم النقلية، فانتشرت التفاسير، كما انتشرت المؤلفات العقلية، وارتبطت ارتباطا وثيقا بالعلوم النقلية، فنجد مثلا المؤرخ، محدثا وفقيها وأدبيا، فانتشرت المؤلفات فى علم التاريخ، وخاصة تواريخ مدن خراسان، مما أدى إلى تطور علم التاريخ فى العصر السلجوقى.

- هكذا كان إقليم خراسان فى العصر السلجوقى، قد شهد تطورا كبيرا فى الحركة الفكرية، مما جعل منه مركزا من مراكز الإشعاع الفكرى والحضارى، واضحى مقصدا للعلماء والطلاب، لعرض ومناقشة إنتاجهم العلمى والأدبى فى المؤسسات العلمية، مما نتج عنه حركة فكرية مزدهرة، لم يقف عند حد العرض والمناقشة، بل امتدت إلى الشروح والتوضيح والاختصار والتأليف مما نتج عنه هذا الكم الهائل من المؤلفات العلمية فى مختلف أنواع العلوم النقلية والعقلية، هذه المؤلفات التى كان لها الفضل الأكبر فى حماية اللغة العربية، والحضارة الإسلامية بل والإسلام.

* * * * * * *